الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل:ط 1: 095076054
ط2: 075105802

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

بعنوان:

البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في قصة بيت من لحم ليوسف إدريس

إعداد الطالبتين:
1- سعيدة دحية
2- إكرام علال

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

- د. حلوي فتيحة	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	رئيسا
- د. فتح الله بن عبد الله	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مشرفا ومقررا
- د. واسيني بن عبد الله	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1438-1439هـ/ 2017-2018م

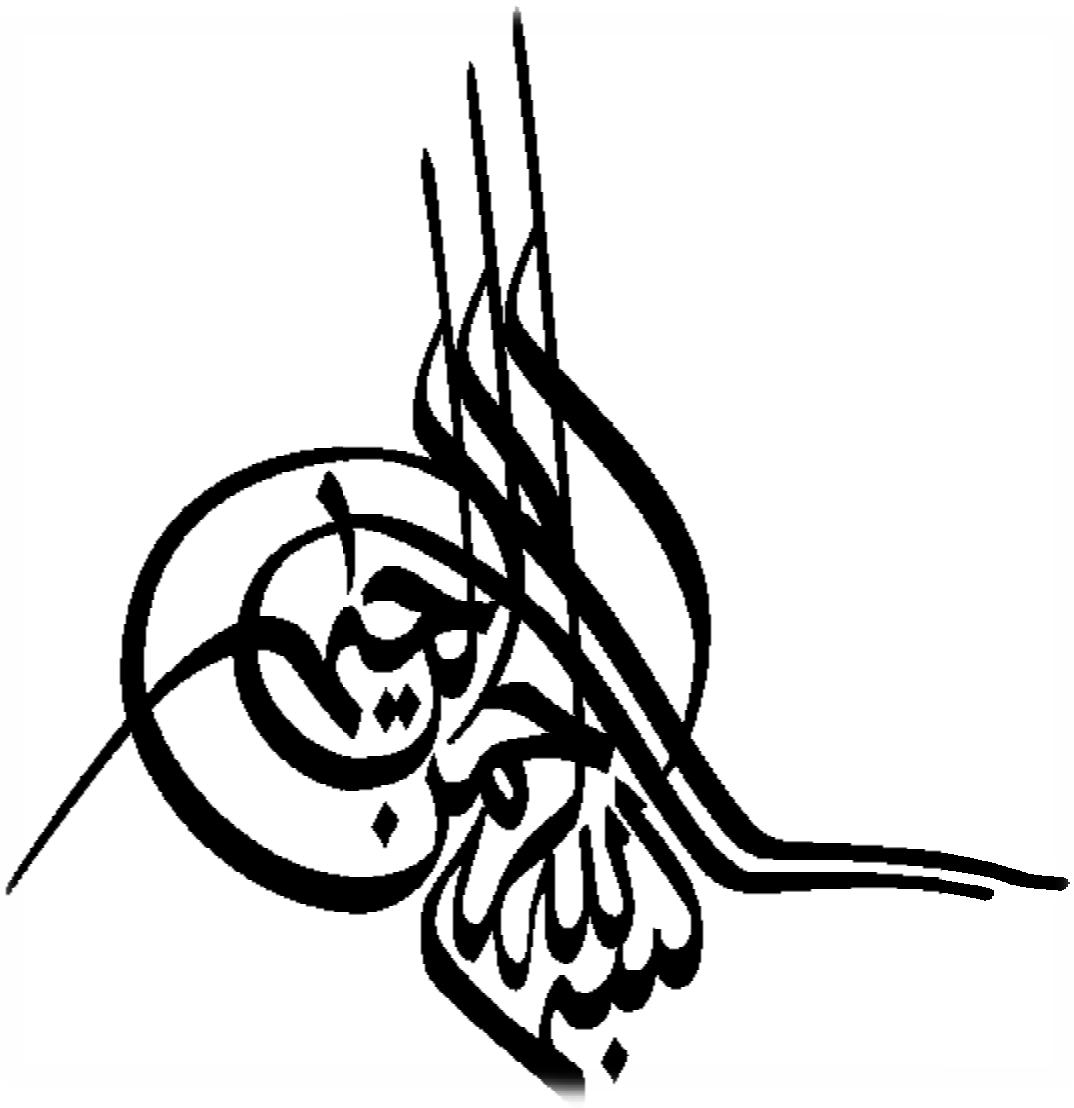

تشكرات

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين وصحابته الراشدين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين فعملا بقوله تعالى:" **فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون**" أشكر لربي جل ثناؤه وتقدست أسماؤه أن حبّب إلينا هذا العلم ، ويسر لنا سبله ، ونسأله سبحانه أن يرزقنا مواصلة السير في هذا الطريق وأن يثبتنا عليه حتى نلقاه، ومن تمام شكره تعالى أن نشكر لأهل الفضل فضلهم وجهودهم ، وان نعرف لهم حقهم فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " **لا يشكر الله من لا يشكر الناس**"

كما نقدم ثمرة جهدنا إلى من حصد الأشواك عن دربنا ليمهد لنا طريق العلم الأب العزيز لكلتا العائلتين.

إلى من أرضعتنا الحب والحنان، إلى رمز الحب وبلسم الشفاء، إلى القلب الناصع الأم الحبيبة لكلتا العائلتين.

وكذلك نقدم جزيل الشكر إلى أستاذنا والمشرف على بحثنا الدكتور "فتح الله بن عبد الله "

فالفضل في هذا لله أولا ، ثم له ثانيا على ما قدمه لنا من توجيهات دقيقة وملاحظات عميقة حول البحث وما تتعلق بمنهجيته.

كما لا ننسى أن أتقدم بجزيل الشكر لكل من أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه على قبولهم قراءة العمل ومناقشته .واشكر بجزيل الشكر كل من قدم لي يد المساعدة معنويا وماديا من اجل بلورة ثمرة جهدنا هذا.

مـقدمـة

مقدمة:

الحمد الله الذي زين كتابه بالقصص فقال ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ** ﴾[1]، والصلاة و السلام على من قص عينا قصص الأولين لتكون لنا عبرة .والحياة جلها قصص ، ومن ثمة اخترت أنا وزميلتي موضوعا نثريا حول القصة القصيرة لمذكرة التخرج الموسومة بـ : **البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في قصة بيت من لحم ليوسف إدريس** .

وكانت مجموعة من المحفزات لاختيارنا هذا الموضوع يمكن أن نجملها في النقاط التالية :

أ- الدوافع النفسية : - حبنا للنثر العربي الحديث خاصة جنس القصة القصيرة.

- إختيارنا لهذه القصة فيها من المدلولات ما يعيشها كثير من أبناء منطقتنا.

- البيئة التي تضم هذه القصة المصرية متشابهة إلى حد كبير مع طائفة من المجتمع في بلادنا فحركنا نفسيا لإختيارها.

ب- الدوافع الموضوعية : إن هذه القصة لم تدرس حسب علمنا في جامعة محمد بوضياف ولا غيرها من الجامعات لإطلاعنا على الموضوعات الموجودة في النت وأردنا هذه الدراسة بكرا نبرهن فيها على مدى قدرتنا تطبيق النظريات الاجتماعية و النفسية على هذه القصة القصيرة.

ومنه نطرح التساؤل الآتي: كيف كانت البنية القصصية لهذه القصة؟ وما مدلولها الاجتماعي؟.

- يعد يوسف إدريس طبيب الأدباء وأديب الأطباء النفسانيين فضمن قصته بمجموعة من الشفرات تستحق الدراسة إضافة إلى مكتبة الجامعة لمذكرة في عالم القصص القصيرة .ولقد إنتابتنا بعض الصعوبات في دراستها ككل الطلبة و الباحثين يمكن أن نذكر منها :

[1] :سورة يوسف الآية 2

- ضيق الوقت بإضافة مقاييس جديدة في الماستر2 لن تفتح لنا الباب على دراستها منذ الدخول الجامعي .

- ومن الصعوبات التي واجهتنا كذلك قلة الكتب المتخصصة في الجانب الأدبي وسوسيولوجيته النفسية والاجتماعية باستثناء سلة قليلة من الكتب . ولقد عثرنا على كتب قيمة في الميدان هذا لكن باللغة الفرنسية فلم نستفد منها بسبب ضعفنا للترجمة .

وبعد هذه الصعوبات قررنا أن تكون خطة المذكرة للتخرج كالآتي :

المقدمة : وتشتمل على الخطوط العريضة للبحث .

الفصل الأول : ويعالج الجانب النظري المتمثلة في الاتجاه الاجتماعي في الأدب و الاتجاه النفسي في الأدب و الاتجاه السيكولوجي في الأدب .

الفصل الثاني :تطرقنا في هذا الجزء إلى تحليل قصة بيت من لحم وذلك من خلال :

1- دراسة الشخصيات.

2- ملخص ثورة الضباط الأحرار و ربطه بالقصة .

3- القراءة السيميائية لقصة بيت من لحم .

4- الجوانب المختلفة الموجودة في قصة بيت من لحم (الجانب الاجتماعي الجانب السياسي ، تدهور القيم الأخلاقية ، الجانب الاقتصادي ، الجانب النفسي).

والخاتمة وهي ما توصل إليه البحث من جزئيات صغيرة .

و أتبعنا المذكرة بملحق يخدم القصة و يوسع آفاقها .

وختمنا المذكرة بقائمة من المصادر و المراجع من بينها قصة قصيرة بيت من لحم ليوسف إدريس، كتاب مطالعات في علم النفس لمصطفى سويف ، وكتاب

تقنيات كتابة الرواية ترجمة زينة جابر لنانسي كريس ، وكتاب أسطورة أوديب لكوليت اسييه .

وبما أن الموضوع اجتماعي ونفسي وثقافي اخترنا المنهج الاجتماعي والنفسي ومعالجة القضايا التي تضمنتها القصة القصيرة بيت من لحم واضطررنا أحيانا إلى إتباع المنهج التاريخي إذ اقتضى الأمر لبعض الأحداث التاريخية التي أثرت في القصة تأثيرا مباشرا أو غير مباشر .

- كان كل هذا العمل تحت إشراف :**الدكتور فتح الله بن عبد الله**

حيث نقدم له الشكر الجزيل على كل الملاحظات الدقيقة و التوجيهات السديدة التي قدمها لنا ، فله منا فائق التقدير والإحترام ونتمنى أن نكون وفينا لتوجيهاته .

و الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات و تعم الخيرات ولله الحمد أولا و أخرا على إتمام هذه المذكرة و السلام .

الفصل الأول

دراسة الاتجاهات الثلاثة (اجتماعي، نفسي، سيكولوجي)

أولا: حياة يوسف إدريس

ثانيا:الاتجاه الاجتماعي

ثالثا: الاتجاه النفسي

رابعا: الاتجاه السيكولوجي

أولا: حياة يوسف إدريس:

يوسف إدريس ...أديب الأطباء وطبيب الأدباء

تحل هذه الأيام الذكرى السادسة عشرة لرحيل الأديب المصري الكبير يوسف إدريس الذي وافته المنية صيف 1991 اثر مرض خبيث أوقف قلبه عن الحياة وقلمه عن الإبداع.

ولد يوسف إدريس عام 1927 في إحدى قرى محافظة الشرقية بمصر، تعلم في المدارس الحكومية والتحق بعد دراسته الثانوية بكلية الطب في جامعة القاهرة التي تخرج منها عام 1951، حيث حصل على دبلوم الأمراض النفسية ودبلوم في الصحة العامة وعين طبيب امتياز، وناب عن الجراحة في القصر العيني، كما عين مفتشا صحيا في الدرب الأحمر وهو حي شعبي بالقاهرة. [1*]

عايش ظهور وتطور التيارات الفكرية والسياسية الوطنية التي انتعشت في مراحل الاستقلال وتأثر بالفكر الماركسي بعد أن قوي بسبب دور الاتحاد السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية والتحولات السياسية والاجتماعية التي شهدها العالم في ذلك الوقت.

حصل على دبلوم الأمراض النفسية ودبلوم الصحة العامة، عمل في المستشفيات الحكومية وكان مفتشاً صحياً في الدرب الأحمر وهو حي شعبي في القاهرة.

---

* : أخذت حياة الفنان الأديب يوسف إدريس من الكتب الآتية:

1- حسن مجيدي، إبداع يوسف إدريس في القصة القصيرة، تحليل ونقد، مجلة فصلية، دراسات الأدب المعاصر، س3، ع9، ص104.

2- ايان كريب، النظرة الاجتماعية: من بارسونز إلى هيبرماس، تر: محمد حسين غليون، مجلة عالم المعرفة، ع242، 1999، ص276.

3- عبد المنعم زكرياء القاضي، البنية السردية في الرواية ، حوار خاص مع الروائي خيري شلبي، ص138

4- عز الدين اسماعيل، التمييز النفسي للأدب، دار المكتبة غريب، ط4، د ت، ص 182.

5- محمد طمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د، ط، الجزائر، 1983، ص282.

6- مجلة عالم الفكر، المجلد السادس والعشرين، ع2، أكتوبر، الكويت، 1997، ص 242.

بدأ ينشر قصصه القصيرة في الصحف منذ عام 1950، وشارك في تحرير أول مجلة يصدرها الجيش بعد قيام ثورة يوليو وهي مجلة التحرير التي صدرت في سبتمبر 1952

- بعد هزيمة الخامس من يونيو عام 1967 كان أنشأ عيادة في ميدان الجيزة ليحترف الطب لأول مرة في حياته، وكان ذلك تعبيراً واضحاً عن اليأس الذي اجتاح جيله وكل الأجيال بعد الهزيمة المنكرة ولكنه لم يلبث أن أغلق العيادة اختطفه عالم الأدب من الطب، فهو واحد من أشهر الأطباء الذين تركوا الطب ليمتهنوا الأدب عايش تطور التيارات الفكرية والسياسية المختلفة، وتأثر بالفكر الماركسي.

استطاع أن يحقق مصرية القصة القصيرة حتى استحق عن جدارة أن يكون أميراً لها إنه أديب الأطباء وطبيب الأدباء.

تستند رؤية إدريس الأدبية والفكرية إلى حساسية فائقة وإدراك نافذ ذاتي للغاية لمظاهر الوجود الإنساني وحقائقه قال عنه عميد الأدب العربي (طه حسين) أجد فيه من المتعة والقوة ودقة الحس ورقة الذوق وصدق الملاحظة وبراعة الأداء مثل ما وجدت في كتابه الأول (أرخص ليالي)على تعمق للحياة وفقه لدقائقها وتسجيل صارم لما يحدث فيها إلى جانب اهتمامه بالقصة القصيرة التي يعتبر أبرز ممثليها في الأدب العربي اهتم بالرواية والكتابة المسرحية ومن أعماله المسرحية (ملك القطن)جمهورية فرحات (اللحظة الحرجة) الجنس الثالث المخططين (البهلوان).

جذبت قصص يوسف إدريس الأولى الانتباه إلى أن اسمه سيصبح من الأسماء اللامعة في فترة وجيزة وهو ما حدث بالفعل خاصة بعد كتابة قصة »أنشودة الغرباء « والتي نشرت في مجلة »القصة« عام 1950 ، وبعدها تابع نشر قصصه في مجلة روز «اليوسف»، ثم قدمه عبد الرحمن الخميسي إلى قراء «جريدة المصري» التي كان ينشر فيها قصصه بانتظام، ثم كتب عدة مقالات في مجلة «صباح الخير»، ثم أصبح من كتاب «جريدة الجمهورية» التي كان يرأس مجلس إداراتها في ذاك الوقت الرئيس

الراحل أنور السادات حيث بدأ بنشر حلقات قصص "قاع المدينة"، "المستحيل" و"قبر السلطان"، وبعدها انطلق يوسف إدريس مؤكدا مكانته كأبرز كتاب القصة القصيرة.

صدرت مجموعته القصصية الأولى "أرخص ليالي" عام 1954 وقد وضعت هذه المجموعة البداية الفعلية للواقعية المصرية، ثم ظهرت موهبة إدريس في مجموعته.

التالية "العسكري الأسود« التي صدرت عام 1955 والتي وصفها أحد النقاد بـ »أنها تجمع بين سمات دستوفسكي وسمات كافكا معا."

حصل على جائزة عبد الناصر في الآداب عام 1969، وجائزة صدام حسين للآداب عام 1988، وجائزة الدولة التقديرية عام 1990 ووفقا للنقاد فإن رؤية إدريس الأدبية والفكرية تستند إلى حساسية فائقة وإدراك نافذ لمظاهر الوجود الإنساني وحقائقه، أكثر مما تستند إلى »معرفة« معلوماتية محدودة، ويجمعون علي أن كتابته تتسم بمعرفة عميقة للواقع الاجتماعي المصري وبأسلوب ساخر تشوبه روح الفكاهة معتمداً على استعمال اللغة العامية في أغلب الحوارات.

كما يرى النقاد أن عالم يوسف إدريس القصصي يدور في أكثر ما كتب حول ثالوث واضح الملامح هو : الله، الجنس، السلطة.

وقد ظهر هذا الثالوث متبلوراً جلياً في مجموعته الذائعة الصيت (بيت من لحم) ولذا فقد اندفعت موهبته بحزم وعمق فنيين لتجسد هذه القضايا، وتصنع منها جواً مصيرياً يرسم مصير الإنسان، ويسيطر على عالمه.

كما إن فكرة القدر ووجود قوة عليا مهيمنة، برزت بوضوح في رسم شخصيات ومسار قصص كثيرة عند يوسف إدريس، مثل قصة (قبر السلطان)، وقصة (لأن القيامة لا تقوم)، وقصة (أكبر الكبائر)؛ وانتصر يوسف إدريس دائما لمأساة الإنسان المسحوق في مجتمع طبقي ظالم، عبر مهارة فنية في السرد والحوار وإحكام بناء النسيج القصصي.

وقد شهد نهج يوسف إدريس في كتابة القصّة القصيرة تغيّرًا جذريًا، في نهاية الخمسينيات وأوائل الستينيات.

فالتصوير الواقعي، البسيط، للحياة كما هي في الطبقات الدنيا من المجتمع الريفي وفي حواري القاهرة، يتلاشى، ويظهر نمط للقصّة أكثر تعقيدًا.

وتدريجيًا، أصبحت المواقف والشخصيات أكثر عموميّة وشموليّة، إلى أن قارب نثره تجريد الشعر المطلق.

ويشيع جو من التشاؤم، وينغمس أبطال القصص في الاستبطان والاحتدام، ويحل التمثيل الرمزي للموضوعات الأخلاقية والسياسية محل الوصف الخارجي والفعل المتلاحق عن مخاض الإبداع عند إدريس تقول زوجته : "حينما يكتب يوسف أجلس أمامه ويقتصر دوري على إعداد الشاي أو القهوة، وبعد أن يكتب جملة أو جملتين يندمج تماماً ويغيب عن كل ما حوله ويبدأ في التشويح والإشارة ويتمثل الشخوص التي يكتب عنها ويشعر إنها حوله تكلمه وتلمسه / كتابة المسرح عنده حالة أصعب لأنه يستحضر الحاسة الجماهيرية في نفسه ويستحضر الحالة المسرحية ليبثها في نفس الجماهير، عندما كان يكتب مسرحية الفرافير كان في حالة صعبة جداً، وقد رأيته بنفسي يقف أمام حوض الاغتسال يشيح بيده ويبكي بدموع حقيقية.

طال يوسف إدريس الكثير من النقد، منه ما تعلق بموقفه من جائزة مجلة حوار التي نالها في عام 1966 وقد وافق عليها ثم سرعان ما تغير موقفه بعد أن ظهر أن تمويلها يتم عبر المنظمة العالمية لحرية الثقافة التابعة لحلف الأطلنطي، مما دفع جمال عبد الناصر لتعويضه عن رفضها بمنحه مبلغ الجائزة.

كذلك علاقته بأنور السادات التي توطدت إبان عمله في جريدة الجمهورية فكان إدريس لسان حال السادات في بعض الكتابات، لكن بمجرد أن كتب مقالات "البحث عن السادات" أخرجه السادات من رحمة السلطة، وخرجت الصحف تقول إن يوسف إدريس ينتحر ويغتال تاريخه، ووصل الأمر إلى حد الاتهام بالعمالة والخيانة، فكتب مسرحيته

"البهلوان" من وحي تلك الحملات الصحفية التي تعرض لها والتي جاء بطلها صحفيا يمارس مهام رئيس التحرير نهارا، وفي المساء يمارس ــ سرا ــ عمله كبهلوان في السيرك، مستعينا بالمساحيق والطلاء لإخفاء ملامحه، وفي الحوارات التي جرت بين رئيس التحرير (البهلوان) ومساعده نجده يصرح بأنه في عمله الصحفي ليس أكثر من "بهلوان ".

ومن الأحداث المثيرة أيضاً في حياة إدريس هجومه الشديد على نوبل نجيب محفوظ بمجرد أن نالها.

وفي إحدى أعدادها ذكرت مجلة « الهلال المصرية»المعركة التي دارت بين يوسف إدريس ومحمد الفيتوري، إذ تسلم إدريس الجائزة عندما كانت 37 ألف دولار وعندما رست على الفيتوري كانت قد وصلت إلى مائة ألف دولار، وفي حالة من الغضب الشديد هاجم إدريس الفيتوري وهمّ بضربه غيظاً وحنقاً على فارق المبلغ لولا تدخل الروائي السوداني الطيب صالح بينهما.

انشغل يوسف إدريس في السنوات الأخيرة بعدد من القضايا الثقافية والاجتماعية الساخنة وحصل على جائزة التقديرية في الآداب عام 1991 وفي العام نفسه رحل يوسف إدريس ليترك بصماته على تطور القصة العربية وتأثيراته الظاهرة على عدد من الأدباء الشبان والعالم العربي قبل وفاته.

أنهى المبدع الراحل يوسف إدريس حياته بصرخة احتجاج على زيارة الرئيس المصري حسني مبارك لبريطانيا في يوم 23 يوليو سنة 1990، ذكرى قيام الثورة التي كان أحد أهدافها الأساسية دحر العدوان الإنجليزي ومقاومته.

عمل بالصحافة وكان عضوا بارزا في اتحاد الكتاب وفي نقابة الصحافيين فوكيلا لها ورئيسا لجمعية كتاب المسرح ونقّاده.

جدّد في المسرح المصري الحديث من خلال مسرحياته:

" جمهورية فرحان" ، "البهلوان" ، اللحظة الحرجة" ، "الفرفير" ، "المهزلة الأرضية" "المخططين" ، "غضبة الله" ، وكذلك كتابه: "نحو مسرح عربي".

يقول عن نفسه إن اللغة عنده هي لغة العقل القديم: "عقلي القديم هو العقل الحكاء للقصة". هذا موضوع نقاش خطير دخلت فيه مع طه حسين، لأنّه كان يرى ضرورة أن أكتب بالفصحى. وقلت له إنّ افتعال اللغة، أو كوني أسيطر على اللغة سيطرة عقلية؛ سوف يؤدّي – من ثمّ- إلى سيطرتي على الأفكار التي تخرج من داخلي سيطرة عقلية وعندئذٍ فإنّي أختلق ولا أخلق. " العدد الثاني من مجلة فصول1982م".

يقول عزّ الدين إسماعيل عن كتاباته: " قوى تتراوح بين ضرواه المحارب العنيف للأهوال دون اكتراث للمحاذير، وسذاجة الطفل الغض ووداعته". كما يقول مجرى الكتابة عنده: " حتى ليخيل إليك أنّك لا تقرأ كلاما منقوشا على الورق، بل تعاين أفعالا متّصلة وحركة دائبة، أو قل إنّ الكلمات تستحيل عنده أشياء وعيانات حيّة ونابضة – فإنّك لذلك لا تملك الفكاك منه. ذلك لأنّه – كما قلت- لا يكتب عن الحياة كما يراها. بل يكتبها كما يعيشها، وكما يريدها أن تكون"

ثانيا: الاتجاه الاجتماعي:

والسؤال الذي يفرض نفسه: هل من الحَتْم أن يُمَثِّلَ الأديب الطبقة التي ينتمي إليها، وما هو القدر الذي يحققه من الفائدة في تقصِّي العلاقة بين الأديب وبين الطبقة التي نَبَتَ فيها، وهل يتفق هذا البحث مع الفهم السليم لطبيعة الأديب ؟

لا شك أنَّ الباحث الأدبي يستطيع بعد يسير من الجهد أن يَقفُوَ حياة الأديب، وأن يُسَجِّلَ معلومات عن بيئته ووضعِه، وانتماءاته الاجتماعية، وحالته المالية، لكن المنهاج الذي سيسلكه للرّبط بينها وحل المتناقضات التي قد تطرأ بمواجهتها بالعمل الأدبي قد تكون رهَانًا مضمونة ويقدم لنا السوفييت ونقادُ ماركسيون آخرون نتائج دراسة عن مدى ارتباط الأصل الاجتماعي للكتّاب الروس بانتمائهم الاجتماعي، ظهرت بموجبها فوارق دقيقة بين الآداب الخاصة كل من الفَلّاحين والبورجوازيّة[1] الصّغيرة والانْتِلِجِنْسِيَا*. الديموقراطية، والانتلجنسيا غير المنتمية لطبقة من الطبقات والبورجوازية والارستقراطية، والعمّال الثوريين[1].ويحاول باحثوهم (أعني باحثي السوفييت) في دراسة للأدب الأقدم عَهْدا أن يتوسَّعوا في فهم الفوارق التي تميِّز المجموعات التي تمثِّل غالبية الارستقراطية الروسيّة والمجموعات الثانوية التي تنتمي لهذه الطبقة والتي يراد أن يكون **بوشكين** و**جوجول** و**تورچينيف** و**تولستوى** ينتمون إليها بفعل الثورة التي صارت إليها، ونظرا لعلاقتهم السالفة بالطبقة المذكورة. على أنّ بعض المطالعين لأعمال هؤلاء من غير السوفييت يَشْكونَ صعوبة التدليل على أنّ بوشكين قد مثّل مصالح مجموعة النبلاء من ملّاكي الأراضي الذين تقلصت ثرواتهم وأنَّ جوجول مثَّل أيضا مصالح صغار الملاّك الزراعيين في أوكرانيا؛ إذ رُؤى في المطالعة أنَّ هذا الاستنتاج يصرفُ النَّظَر عنهُ الاتجاهات الفكريَّةُ العامة في الأعمال

* : كلمة لاتينية الأصل (intellegentia) استعملها الإنجليز لأول مرة ويقصدون بها النخبة المثقفة وهي طبقة اجتماعية تشارك في عمل ذهني معقد يهدف في تشكيل ثقافة المجتمع وسياسته.

[1]: سليم حداد، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، د ت، 1986، ص 84.

الأدبية الخاصة بهم، كما يدحضهُ الاتّهام الذي سدّدته هذه الأعمال لمظَاهر الفساد في المجتمع دون أن تسند هذا الفساد إلى فئة أو طبقة، أو عصر معيَّن.

وإذا كنّا نلاحظ مع الماركسيين، في فحصهم وفق منهجهم، الآداب الأوروبية الحديثة، انتِماءَهم إلى أنّ الجانب الأكبر منها ينتمي إلى الطبقة البورجوازية فهذه مجرّد ملاحظة لا تفيد فتيلا؛ غدا أن المجتمعات لم تُفْرزْ ما يمكن أن نُسَمِّيَهُ عوضا عن هذه الآداب أدب الطبقة العمالية، أو أدب البروليتاريا البَحْت[1].

إنّ هناك سؤالا آخر عن مدى إمكان خيانة الأديب لطبقته، وعن القول الفَصْل في مسألة صدور الأدب عن الطبقة التي تمتلك وسائل الإنتاج وتسيطر على زمام الحكم.

إننا نتفق مع الرّأي القائل بأنّ أيَّ أديب إنّما هو مواطن وعضو في مجتمع، ولابدّ أن تتوافرَ له آراءٌ في المسائل ذات الأهمية الاجتماعية والسياسية، وفي قضايا عصره ولو بصورة عامة وأنه إذا انتسب إلى طبقة بعينها فإنَّه ليس مُلزَما بأن يكون في كُلِّ الأحوالِ مُقَيَّدا بأيديولوجيتها[3]، ومواقف **شيير**و**كارليل**و**تولستوي** أمثلة واضحة على أن الكاتب يمكن أن يخون طبقته، وينفكَّ عنها. وكَوْن معظم الكتّاب الشيوعيين خارج روسيا ليسوا من أصول بروليتارية يناقض فكرة دينونة الأديب لطبقته وتبعيته لها.[2].

وينبغي أن نضع في الحساب أن هناك فرقا بين المعتقدات الشخصية والطاقة الفنية المبدعة، فلا يمكن أن نزعم أن المعتقدات الاجتماعية والسياسية للشخصيات في رواية أو مسرحية تُعَبِّر عن معتقدات مؤلفها، وكان **بلزاك** مبيِّنًا تمام الإبانة حين أفصح عن ولائه للملكية والكنيسة الكاثوليكية وتعاضده مع النظام القديم بما في ذلك الطبقة الأرستقراطية بما كان لها من قِيَم، وأعراف، وآراء في التغيّرات الجديدة ومع هذا عَكَسَ أدَبُه اهتماما كبيرا بالنّمط البرجوازي الجديد.

---

[1]: إحسان محمد حسن، مناهج البحث الاجتماعي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2005، ص162.

[2]: عبد القادر عرابي، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، دط، ص 96.

والذي يمكن أن يقال في هذا المجال إنَّ الشكل العام للعمل الفكري والتخيلي الذي يتسلَّمه كل جيل على أنه تراثه الأدبي يكون دائما وبالحتم أكبر منْ أن يُحسَبَ نتاج طبقة واحدة من طبقات

المجتمع، لأنه قد يرجع إلى عصور أبعد من الزمان الذي تنتمي إليه هذه الطبقة كما أن بقية الطبقات يمكنها دائما أن تُسهِمَ بصورة أو بأخرى في إمداده بروافد فكرية وثقافية لا تجعله محصورا في قفص الطبقة التي امتلكت وسائل الإنتاج أَوْ فِي بُوقِها ولو في تلك المجتمعات التي تتسلَّق فيها طبقة ما سائر الطبقات[1].

إن الطبقة البورجوازية في أوروبا قد انتقلت إليها قيادة الأدب قبل أن يكون لها دور قيادي في الحياة السياسية. ولقد تمكّنت الطبقة المتوسِّطة المصريّة أن تقوم بدور بارز في الحياة الأدبية والثقافية حتى وهي بمعزل عن شؤون القيادة وأصولها هناك اتجاه مُهِمٌّ أسفر عنه موضوع العلاقة بين الأديب والمجتمع، وهو الاتجاه الذي ينظر إلى الأعمال الأدبية على أنها "وثائق اجتماعية" ونرجّح أن هذا الاتجاه نتج عن مظانِّ تأثير الأديب في الحياة الاجتماعية، وتغييره للذوق السَّائد، وقد حاول بعض الدارسين في السنوات الأخيرة التعرف على صوَر المجتمعات بما فيها من آراء سياسية واجتماعية من خلال شرائح أدبية، أو أعمال كاملة والأعمال الأدبية قد لا تضِنُّ حقًّا بصُور للمجتمع الذي عاش فيه مبدعوها، فمن الممكن أن نقول مثلا إن الأدب الجاهلي نموذج نعتد به في هذا الصدد، فهو صورة أمينة لحياة الجاهليين وسواء شئنا أو أبينا فإننا نَعُدُّه سِجِلًّا لعاداتهم وتقاليدهم ومصدرا ثريا يُمِدُّنا بالمعلومات التي وعتها حافِظَتُه إلى جانب القرآن الكريم الذي صوّر هؤلاء القوم أدنى تصوير وأدَلَّه.[2]

[1]: هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيوثقافية مكتبة فلسطين للكتب المصورة ، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة 2015، ص 205.

[2]: السيد يسين، التحليل الاجتماعي للأدب ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1992، ص 105.

وعودة الروح ويوميات نائب في الأرياف لـــ**توفيق الحكيم** صوَّرتَا جزءا مـــن المجتمع المصري في حقبة من الزمن، كما أن روايات **تشارلز ديكينز** فيها كثير مـــن الصّور الاجتماعية عن عادات المجتمع الانجليزي في الفترة التي كتب فيها شأنها شأن أعمال **مكسيم جوركي** و**تشيخوف** التي عكست صورا من المجتمع الروسي، لكن أمرا ذا بال يمكن أن يلاحظ في هذا الصدد، هو أننا ما تعرَّفْنا على هذه الصور الاجتماعيـــة في هذه الأعمال الأدبية إلا من معرفتنا ببيئة هذه المجتمعات، وبمعلومات أشمل عنهـــا استُقِيَتْ من مصادر غير أدبية ساعَدَتْنَا على أن نُمَيِّزَ ما رَسَمَهُ الخيـــال والصـــياغات الاستعمارية على طريقة الأدب وبأسلوبه ووفق طبيعته، وماهيته.[1]

إن تقييد الأدب بالمجتمع وتجميده في الصـــورة الأيديولوجيـــة التـــي اشـــترطها الماركسيون له والتي قد تسقطه في مزلق البوقية والدعاية لابد أن يؤخذ بحذر لأنّ أدباً سويًّا قد تتوافر له خصائص الأدب دون أن يكون وليد الصراع بين الطبقات، ودون أن يُطبع بطابع التفاؤل النمطي. والدراية الأدبية لها نواميســـها المتصـــلة بطبيعـــة الأدب وعلم الاجتماع له مجالُه وقواعده العامة، كذلك علم الاقتصاد، ونحن نرى أننا مُحْتَاجُونَ إلى علم الاجتماع البريء المنزه من العنف المذهبي والإرهاب الأيـــديولوجي لإنمـــاء ثقافة الأديب والناقدة دون حملهما على التقيد به أو اعتقالهما في قفصه.

ثالثا: الاتجاه النفسي:

لعلّ النظرة النفسية للأدب ذات جذور بعيدة منذ فجرالدراسات النقـــدي، ولـــدينا أرسطو الذي عهدناه يتحدّث عن التطهير أو الكاثارثيز، بوصفه علَّةً غائيّة للتراجيـــديا ويقصد به الخلاص من انفعالي الخوف والشفقة عن طريق إثارتهما في النظارة، وقـــد يكون التطهير يحمل معنى طبِّيّا[2].

[1]: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار ميريث للنشر، القاهرة، 2002، ص40.

[2]: چان بيلمان-نويل: التحليل النفسي والأدب، تر:حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة، 1997، ص13.

ولقد تحدّث **كوليردج**(في العصر الحديث) في أوائل القرن التاسع عشر عن الخيال وقسّمه إلى نوعين: الخيال الأول وهو القوة الحيوية والعامل الأساسي في كل إدراك إنساني، والخيال الثانوي، وهو صدى للأوّل،ويكون مصحوبا بالوعي الإرادي وهذا الخيال مداره الفن[1].

والحديث المستفيض عن الوعي واللاوعي أو الشعور واللاشعور بدأ بصفة حاسمة عندما نشر **سيجموندفرويد** كتابه تفسير الأحلام سنة 1899، ثم اتَّسَعَ الحديث عنهما في مؤلفاته التي تلت ذلك الكتاب.

وإذا كان الأمر يتصل بالعِصاب الناجم عن مكبوتات تتَّصل بالطفولة يتحيلها "الأنا" إلى "الهو" عندما يصطدم بالأنا البشرية أو العقل البشري، كما رمز **فرويد**، أو كما افترضها، تسهيلا لدراسة هذا العقل بصورة منهجية. و**فرويد** يفترض أنَّ أقدم جزء في هذا الجهاز النفسي هو ذلك القسم الذي أطلق عليه اسم "الهو" وهو

يحوي كل ما هو موروث، وما هو موجود منذ الولادة، وما هو ثابت في تركيب البدن، وهو لذلك يراه يشتمل قبل كل شيء على الغرائز التي تنبعث من البدن، والتي تجد أول تعبير لها- حد قوله في "الهو".

كما يرى أن "الأنا" جزء نما من الهو نموا خاصا ليقوم بدور الوسيط بين الهو وبين العالم الخارجي. وللأنا خصائص، فهو يقوم بسلطة الإشراف على الحركة الإرادية كما يضطلع بمهمة حفظ الذات، وعمل التعديلات المناسبة في العالم الخارجي وفقا لفائدته (عن طريق النشاط) وكذلك فإنه يؤدي هذه المهمة فيما يتعلّق بالحوادث الداخلية (أي فيما يتصل بالهو، إما بالقبض على زمام الرغبات الغريزية، أو إصدار

[1]: أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار المعارف بمصر، ط11، 1999، ص45.

حكمه فيما إذا كان سيسمح لها بالإشباع إلى أوقات وظروف ستكون مناسبة في العالم الخارجي، وغما بقمع تنبيهات هذه الرغبات قمعا تاما أو كبتها[1].

والأنا الأعلى، كما رآه **فرويد** قوة ثالثة مميزة عن الأنا يعمل لها الأنا حسابا، ولا يمكن فهم الأنا الأعلى فهما وافيا إلا إذا رجعنا إلى الوراء، حيث الطفولة، ولمسنا نفوذ الوالدين بالنسبة للطفل، وما يحملانه من تقاليد خاصة بالسُّلالة الأم والأسرة، وكذلك رغبات الوسط الاجتماعي المباشر الذي يُمَثِّله الوالدين، ثمَّ تأثر الأنا الأعلى للفرد أثناء نموّه، بالأشخاص الدين يخلفون الوالدين، ويَحُلُّون محلهما فيما بعد، مثل المدرسين والشخصيات المحبوبة في الحياة العامة، وكذلك تفاعل الطفل بالمثل الاجتماعية العليا[2].

وإذا عرفنا أن " الهو" ترمز للاشعور وأن الأنا تغني عن الشعور وتَعْنيه، وأن الأنا الأعلى ينوب عن الضمير فإننا يمكننا، على ضوء ذلك أن نتلقى قول **فرويد** عن الأديب أو الفنان، ونظرته إليه، بنوع من التفهم، يقول **فرويد** " الفنَّان في الأصل إنسان يبتعد عن الواقع لأنه لا يستطيع أنْ يتوافق مع الحاجة إلى ترك الإشباع الغريزي بالطريقة التي كان يتم بها أول الأمر، ومن ثمَّ يترك لرغابته الطَّمُوح المتوهمة الحبل على الغارب في دنيا الأوهام، لكنه في طريق العودة من دنيا الأوهام إلى دنيا الواقع يحول أوهامه، بفضل مواهبه الخاصة، إلى لون جديد من الحقيقة، ثُمَّ يُضْفِي الناس على تلك الرغبات الطَّموحات المتوهمة ما يُبَرِّرها، على اعتبار أنها تأملات قيّمة في الحياة الواقعية، وهكذا فَعَنْ طريق الإبداع يصبح الفنَّان هو البطل بالفعل، والملك، والمبدع والشخص الذي تمنَّى أن يكون دون أنْ يدور مع الطريق الصعب الذي يؤدي إلى إحداث تغيير حقيقي في العالم الخارجي".

---

[1]: جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، تر: د. محمد لبيب النجيحي، سنة 1963، فرانكلين للطباعة والنشر، ص314.

[2]: بول أرون وآلان فيالا، سوسيولوجية الأدب، ، تر: محمد علي مقلد مراجعة د.حسن الطالب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2013، ص106.

فالأديب أو الفنَّان في نظر**فرويد** تتكَّبَ الطريق السوِيَّ، طريق المجتمع، وطريق إطلاق حبل الغرائز على الغارب إلى إعلاء هذه الغرائز، أو التسامي بها. والغرائز هذه كبتت كبتا قد يتأتى[1].

ويمثل النظرة إلى الأديب نظر، **فرويد** إلى الشخصيات التي يبدعها هذا الأديب بل إنه تحرَّى تفسير مسألة اعتبرها من أهمِّ مسائل التحليل النفسي، تُقابل الطفل في سنواته الأولى، وهي تشبثه بأمه التي تُعَدُّ مصدر إرضاعه وتغذيته، ورأى أنَّ العقل البشري، ممثَّلا في الفكر اليوناني جسَّم هذه المسألة في شخص أوديب، من منطلق أنَّ الطّفل يحاول أنْ يحتَلَّ المكان الذي يَخُصُّ والده، هذا الوالد الذي يُعَدُّ أمامه مثالا لقوة البدن والسلطة ومنافسا يحاول الطفل أن يتخلص منه، لأنه يقف في طريقه ويهدَّد به (بالتلويح بالإقصاء) انظر إلى قول **فرويد**" إن المتعة التي يحصل عليها الطفل حينما يغيب أبوه، وخيبة الأمل التي تَحُلُّ به عندما يظهر، إنَّما هي من الخبرات التي يشعر بها، وهذا موضوع عقدة أوديب الذي ترجمته الأسطورة الإغريقية من عالم خيال الطفولة إلى شبه حقيقة" [2].

ولقد ردّ **فرويد** على ما قد يثار من اعتراض حول تفسير هذه الأسطورة على هذه الشاكلة، والاعتراض الذي قد يثار يتمثل في أنّ أوديب كان يجهل أنَّ الرّجُل الذي قتله هو والده، وأنَّ المرأة التي تزوَّجها هي والدته إذ رأى **فرويد**، في ردِّه، أنَّ جهل أوديب هو تصوير شعري للناحية اللاشعورية التي تستتر فيها هذه التجربة عند الكبار كما أنَّ حُكْمَ القَدَر الذي يجعل البطل بريئا إنما هو اعتراف بأنه لا ممدوحة من وقوع القضاء الذي يحكم على كل ابنٍ بأنْ يَمُرَّ بعقدة أوديب إن **فرويد** تمعّن كذلك في مأساة هَامْلِتْ وهو يراه "ذلك البطل المماطل الذي كتب عنه **شكسبير**، على أساس عقدة أوديب". لقد

[1]: كامل محمد عويضة، علم النفس بين الشخصية والفكر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1996، ص22.

[2]: المرجع السابق ، ص112.

قرَّر **فرويد** أنَّ مأساة هاملت إنما ترجع إلى اقتصاصه من شخص آخر لأمر يتفق مع رغباته الأوديبية.

فسَّر أيضا إغراء إلكترا (بنت أجاممنون مَلِك مسينا) أخاها أوريستس بالانتقام مِنْ أُمِّها كليتمنسترا وعشيق أمها لأنهما قتلا أباها أجاممنون، بأن إغراء إلكترا أخاها بقتل الأم، كان لغيرة إلكترا على الأب، تلك الغيرة التي أرجعها إلى الطفولة المبكرة لاستياء إلكترا الطبيعي من أمها، لأنها لم تلدها غلاما ووضعتها أنثى،مما جعل إلكترا تتخذ لها هدفاً آخر لحبها هو والدها، ثم تتقمّصُ شخصية أمِّها التي كانت تُحِبُّها بالطبع لأنها أرضعتها، فتحب الّجُل في أبيها هذا الحبَّ الشديد، ويُرْوَى أنَّ إلكترا حزنت على مقتل أبيها حزناً مفرطا لازمها حتى الموت[1].

مِمَّن عَرَض **فرويد** لدرسهم درسا نفسيًّا أيضا كلٌّ من **ليوناردو دافنشي** الرسام الإيطالي الشهير، و**دوستونسكي** الروائي الروسي المعروف، وكان دَرْس **فرويد** لكل منهما على ضوء عقدة أوديب، وانصبّ درسه على آثارهما وما خَلَّفَا من أعمال رصد حُبَّ الأول المُفرط لأمِّه، لأنه لم يَكُنْ ابنا شرعياً، وتردُّدَ الحدأة على مجرى أحلامه من حيث إنَّ طيراً شبيها بها، لعلَّه العنقاء، زعموا أنه لا يلجأ إلى قرينٍ، فيما يشبه الاكتفاء بالذات، والمهم هنا أن **فرويد** رصد انحراف هذا الرسام وربط بين النساء الباسمات اللائي يظهرن في صورة وبين البسمة التي كانت أمه تجيد رسمها على شفاهها، كما تَتَبَّع عقدة أوديب أيضا في **دستويفيسكي**، وتحرّاها في أعماله واستكشف أنها كامنة في لاشعوره من عهد الطفولة تتجلَّى في رغبة الابن أن يقتل أباها.

إنَّ هناك من مشوا على درب **فرويد** في تحليل الأعمال الأدبية وفوق مفهوم الكبت، وترسب العقدة الأوروبية، وأجريت أبحاث عديدة في موضوع الأساطير القديمة والقصص الخرافية تتحرَّى فهمها، واستحدثت تفاسير لها وفق مبادئ نظرية التحليل النفساني، وقد اضطلع بعبء هذه البحوث **ريكلين** RIKLIN و**رانك** RANK و**جونس**

[1]: بيير داكو، انتصارات التحليل النفسي، تر: وحيد أسعد، الشركة المتحدة للتوزيع، ط2، 1986، ص498.

JONES و**استورفر** STORFER. ودراسة هاملت التي قام بها **جونز** لا تخرج عن مفهوم عقدة أوديب، إلا أنه قد عمَّمَ هذه العقدة على المؤلّف وعلى النظام جميعا[1].

إن الربط بين العصاب والغريزة الجنسية، وهو الرأي الذي ناضل فرويد في سبيل إنجاحه لم ينفرد وحده بالسلطة إذ انشقَّ من أتباع فرويد من نادي بخلاف نظريته ومن هؤلاء **ألفرأدلر** Alfred ADLER(1870-1937) الذي رأى أن الشعور بالنقص هو السبب الأول لتكوين الأمراض العصابية، وفي رأيه أن الشعور بالنقص ينشأ لوجود عيب، أو ضعف بدني، يجعل الطفل عاجزا عن مسايرة زملائه من الأطفال. وقد ينشأ الشعور بالنقص أيضا، في رأيه عن بعض المتاعب والعقبات في بيئة الطفل، مثل عدم معالجة الوالدين له بالحسنى وحجب الحب والحنان والتشجيع عنه، وينظر أدلر أن الإنسان يحاول دائما أن يعوض ما به من ضعف، وأن يخفي شعوره بالنقص، بما يبديه من سمات القوة والهيمنة والتعالي، وبما يلوذ به من حيل ووسائل لتأكيد ذاته.

وفي ذلك رأى أن بعض الناس قد يسلكون مسلكا معاديا للمجتمع، ويقرر أدلر أن دافع القوة وإقرار الذات هو القوة الإيجابية المسيطرة على الحياة[1].

اتجه **كارل جوستانيوغ**(1875) كذلك اتجاها مغايرا لفرويد، إذ عُنِيَ باللاشعور كما عنى به فرويد ولكنه فرَّق بين نوعين منه لا شعور شخص ولا شعور جمعي ونلاحظ أن فرويد أشار إلى هذا النوع من اللاشعور أيضا في كتابه TatemandTaboo.

واللاشعور الجمعي عند يونغ يحوي التجارب والأفكار الموروثة من الأجيال السابقة، ويمثل طرائق التفكير البدائي للعقل الإنساني، وقد أطلق يونغ على الصور التي تتراكم في هذا اللاشعور اسم النماذج العليا Arché typesوهي، كما رأى

[1]: المرجع السابق، ص385.

يـــونغ، مصدر كثير من الأصلية والصور الخاصة بالجان والأرواح والسحرة كما أنها تغذّي الفنّ والشعر[1].

واهتمَّ **يونج** بدراسة الأنماط السيكلوجية، وذكر أنواعا مختلفة منها أهمها المنبسط والمنطوي، والمنبسط في رأيه، هو الشخص الذي تتّجه طاقته الحيوية إلى الخارج نحو الأشياء، والمنطوي هو الشخص الذي تتجه طاقته الحيوية إلى الداخل نحو الفرد ذاته ومع هذا فإنَّ يـــونج قد تحفَّظ في تحديد النَّمط الذي يمثله الشاعر فلم يَقُل إنَّ الأُدبـاء جميعا من نَمَط معيَّن من الأنماط التي حدَّدها، بل أشار إلـى أنَّ بعـض الأُدبـاء تَـنُمُّ أعمالهم الفنية عن نَمَطِهم، على حين تكشف

أعمال البعض الآخر عن النَّمط المضادّ لشخصياتهم، أو المكمل لها.

إنَّ يـــونج في دراسته لجوقه خفّف من غلواء النظرة إلى التأثير الذي استحدثه مفهوم عقدة أوديب في نتاج الأدباء فهو، على سبيل المثال، لم يُلق بالا إلى ما ردّده "**فَاوِسْـت**" من قوله " **الأم يا لها من لفظة عجيبة تطن في الأذن طنـين السـحر**" إذ اعتقد أن عقدة أوديب لم تكن هي المسئولة عن كتابة جيته لهذه المسرحية (**فاوست**)[2].

هناك أيضا في حقل الدراسات الأدبية وقد سبق أن ألهمنا بها.

على أن مفهوما جديدا للاوعي قد ظهر إلى حيز الوجود فيما عرف بعلـم نفـس الوعي، فمع الإلحاح على أن لغة اللاشعور هي لغة متحققة عن طريق الصُّـور، وأن هذه اللغة بدائية وأن التعبير عن طريقها أشبه بالمناظر أو المشاهد فإن ظهور هذه اللغة بانسيابية واسترسال، ولاسيّما (أدب الحلم وتيار الوعي) الذي ساد في بعـض أنمـاط القصة الجديدة في العالم الغربي، وسرى إلى المؤلفين العرب، صدا بكثير من المهتمين بالنقد أن يواجهوا النشاط الأدبي الجديد مواجهة مغايرة متباعدة عن قيود نظرية فرويد وهكذا أصبحنا إزاء نظرية تكاد لا تتحدث عن اللاشعور كثيرا، بل تكاد تنكر اللاشعور

[1]: علم النفس بين الشخصية والفكر، ص210.

[2]: انتصارات، التحليل، ص370.

ولا تقر إلا للشعور أو الوعي بالتَّحقُّق، أو ترى أن هذا الشعور أو الوعي مستويات وأصبحنا كذلك إزاء ما يطلق عليه اسم "علم نفس الوعي" الذي أسلفنا ذكره وهذا الاسم "علم نفس الوعي" غير منتشر بالقدر الذي ينبغي أن يكون عليه، فالغالبية العظمى من علماء.

السلوك، وهو العلم المسئول عن فهم سلوك المدعين أيضا، أو الدراسة التحليلية لمحتوى الإنتاج الإبداعي لا يقرون للوعي بأن يكون سلوكا قابلا للدراسة في ذاته بل محتواه، وأصحاب علم نفس اللاوعي لا يرون في الوعي إلاّ قناعا لما دونَه أو نَفْياً لما يُخفيه، هذا الذي تشير إليه بعض الكلمات التي تظهر متسلسلة أحيانا في "تسمية الرمز" لقد استخدم الطبيب النفسي "**هنري إى**" مصطلح علم نفس الوعي "ليثبت أن النشاط النفسي في المرصى والصم، ليس إلا سيكلوجية الوعي. وهناك مدارس تطلق على نفسها هذا الاسم مباشرة أي (مدارس علم نفس الوعي) لكن تعطى أهمية بالغة للإرادة والحرية والمسئولية في تشكيل الذات ومواجهة الآخر، ومن هذه المدارس مدارس علم النفس الوجودي، وكثير ممَّا يسمَّى الاتجاه الإنساني في علم النفس. و علم نفس الوعي لا ينكر ما هو لا شعوري بل يعُدّه وعيا آخر كامناً ونشيطاً متبادلا في الوقت نفسه وهو يتسع، من هذه الناحية لقبول مفهوم "تعدد الذوات" في إطار الوحدة الإنسانية وبلغة أخرى يسمح بتعدد "حالات الأنا" أو نظرية التحليل التفاعلي لإ**ريك بيرن** المتلخصة في أن هذه التراكيب هي حالات الذات الوالدية والناضجة والطفلية، ولقد رأى أحد المتخصصين في الطب النفسي وهو الدكتور **ريحي الرضاوي** الأستاذ بكلية طب القاهرة أن ما يسمى بعلم نفس الوعي هو أقرب ما يكون إلى طبيعة النقد الأدبي.[1]

ولقد دارت مناقشات في حقل الدراسات الأدبية العربية حول جدوى إتباع المنهج النفسي في دراسة الأدب ونقده، وتحرِّي نرجسية الأديب وحبه ذاته وفي تقصي

[1]: التحليل النفسي والأدب، ص65.

علله الخلقية والخُلقية، وظهرت آثار هذه المناقشات في كتابات كبار النقاد، أمثال الدكتور **طه حسين** والدكتور **محمد مندور**، إذ اعترض الدكتور طه حسين على تفسير العقاد و**محمد النويهيلأبي نواس** في ظل نظريات علماء النفس وبخاصة التحليل النفسي لفرويد، ومدرسته، وكان من مَآخذ الدكتور طه حسين على الإسراف في استخدام هذا المنهج الزعم مثلا بأن أبا نواس كان يعشق الخمر عشقا جنسيا، ويتغزل فيه تغزلا جنسيا لسبب أو لآخر من مزاعم علم اللاوعي أو المكبوتات النفسية، أو الحرمان الجنسي ولقد اعتزّ الدكتور محمد مندور برأي الدكتور طه حسين في هذا الصدد. لقد رأى في معارضة للأستاذ **محمد خلف الله أحمد** صاحب كتاب"**من الوجهة النفسية**" أن الأدب موضوعه الإنسان في ذاته، وفي استجابية لما حوله وهو في هذا شبيه بعلن النفس، وأن ثمة فرقا جوهريا بينهما هو أن علم النفس يتناول الظواهر العامة، أي الأدب فهدفه الأول إدراك العنصر الفردي المميز لكل إنسان عن أخيه. إنه في هذا الصدد يرى أن أوراق الأشجار نفسها لا تتشابه يرى أيضا أن الباحث في علم النفس يتحدث مثلا-عن الخيال أو العاطفة أو الغريزة بوصفها ظواهر عامة، تشمل الإنسانية كلها، وأما الأديب فإن كان شاعرا تغنَّى بإحساسه الخاص، وإن كان قصصيا صوّر شخصيات يبرز ما فيها من أصالة، حتى إنه ليفرق بين أنواع الشخصيات التي تشترك في لون واحد عام فتصوير البخيل- في رأي مندور- في رواية "**موليير**" مثلا غَيرُهُ في رواية " **لبلزاك** "؛ فكل كاتب، في رأي الدكتور مندور.

يختار نواحي من البخل وحركات خاصة تنمُّ عنه غير ما اختاره الآخر.[1]

إن الدكتور مندور في هذه المعارضة لا ينفي الاستضاءة بعلم النفس التحليلي في فهم الأدب ونقده، لا ينفي ذلك نفيا قاطعا، فهذا غير مقبول، لانفتاح النفس البشرية للمعارف والدرس ورؤية الأمور على أضواء مختلفات، ولذلك فالدكتور مندور يصرح

[1]: محي الدين أبو شقرا، مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005،ص289.

بأنه لا يعارض في أن يوسع الناقد من ثقافته الإطلاع على مؤلفات علماء النفس والاجتماع وغيرهم.

وهناك بعض الدراسات التي التزمت تحليل بعض الأعمال الأدبية، وفق منهج يونج المتصل بالنماذج العليا، المتعلقة باللاشعور الجمعي، ومنها ما لاقى قبولا ونخص منها هذه الدراسة التي قدمها الدكتور **عبد المنعم اسماعيل** لمسرحية "يا طالع الشجرة" **لتوفيق الحكيم**، والتي تدور بين رجل اسمه "بهادر" وزوجته "بهانة" "محقق" و"سحلاة"، وتنتهي المسرحية باختفاء الزوجة في الوقت نفسه التي يُعثَر على جثة السحلاة وهي ملقاةً تحت جذع شجرة. ويواجه المحقق الرجل بمسئوليته عن قتل زوجته التي كان الرجل يخلط بين ذِكرِ اسمها والسحلاة في أماني الخلاص مما يكره، أو ممن يكره، فإذا كان هناك من فسّر المسرحية على أن هذه الشخوص ما هي إلا مستويات النفس البشرية من شعور، ولا شعور وضمير، أو "أنا، وهو، وأنا أعلى" ومرّ هذا التفسير مرّ الكرام، دون أن يلفت الأنظار، فإن دراسة الدكتور **عبد المنعم اسماعيل** بدت، حيث كان القبول من خطها، أقرب إلى ما عناه توفيق الحكيم،

أو بِقول أدنى معناه اللاشعور الجمعي فيه، وفي المتلقي وفي الشخوص، وفي الدارس جميعا، حيث رأى الدكتور عبد المنعم من حصائل متابعته للنماذج العليا أن السحلاة ما هي إلا المرأة المكتملة الأنوثة، وهي في مستوى مصطلحي آخر، لدى يونج، زوجة الفيلسوف الابن، كما أورد ذلك الدارس أيضا[1].

رابعا: الاتجاه الاجتماعي والسيكولوجي:

فنحن نرى أن الجانب الاجتماعي يضمن الحياة والوجود على كوكبنا في حين أن الثاني لهذه الحياة فيضمن الأمل وهدف الوجود، كمثال: السجين له جانب اجتماعي يتمثل في الأكل، والشرب، والدواء، ومكان الميت، الصحة..

[1]: المرجع السابق ، ص294.

لكنه معدوم من الجانب الثاني الذي يمثل الحياة وروحها بذلك سأتناول الجانب النفسي والاجتماعي معا بعدما فصلناهما منفردين.

وهذا يعني أننا نعيد كتابتهما بأهدافها بل الجمع بينهما تعطينا أمور ثابتة ليست في الأول ولا في الثاني مثال: دراسة الأكسجين (O) تختلف عن دراسة الهيدروجين (H_2) لكن إذا جمعناهما أعطتنا الماء (H_2O).

التحليلي النفسي والدراسات الاجتماعية:

نستطيع حصر مهمة تأليف الكتاب في تبيين وتوضيح وجهة نظر التحليل النفسي في كل المباحث التي تقع ما بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلم الاجتماع، ومن المعلوم أن الأنثروبولوجيا كعلم الاجتماع تدرس الظواهر الاجتماعية في المجتمعات المشاركة في الحضارة الحديثة، ومعنى ذلك أننا هنا بصدد أبحاث تبرز نظرة التحليل النفسي إلى كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية في صورتها، البدائية والمتحضرة،[1] فبعضها يتناول الفولكلور (أو الأدب الشعبي)، وبعضها يتناول المثولوجيا والبعض يتناول الدين وأبحاث أخرى تتناول الفن وغيرها تتناول الأدب والتاريخ، ويوجه الناشر دعوته واضحة صريحة لكل أنثروبولوجي أن يساهم بما يجد في ميدانه، لأنه يرى أن هذا الميدان يفيد التحليل النفسي كثيرا بما يقدم لنا من معلومات عن موقف البدائيين من مشكلات الطفولة والأحلام والشخصية والجنون والنشاط الجنسي، هذا إلى أنه هو نفسه يفيد بدوره من التحليل النفسي، وبذلك يمكن أن يقال إن التقريب بين هذين الطرفين يعود بالفائدة عليهما معا، ويرجع الفضل في الكشف عن هذا الرجاء إلى فرويد نفسه الذي كرس له كتاب "الطوطموالطابو"، وفي سبيل هذا الرجاء نفسه عمل كثير من تلامذته حتى الذين انشقوا عليه وفي مقدمتهم يونجG.G. Jung، بل إن هذا الباحث قد بالغ في توطيد أواصر الصلة بين التحليل النفسي (بمعنى أوسع من المعنى الفرويدي)

[1]: جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، تر: محمد لبيب النجيحي، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ط3، 1975، ص 226.

وبين الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وذلك بأحاديثه في اللاشعور والجمعى الموروث ومضمونه الذي يتألف مما أسماه "النماذج الرئيسية"[1].

والمجلد الذي نحن بصدده يتألف من ستة أقسام مرتبة ترتيبا تصاعديا من حيث درجة التعقد والتكامل في موضوع كل منها، فالقسم الأول في الأنثروبولوجياوالثاني في الميثولوجيا والثالث في الدين والرابع في الأدب والخامس في التاريخ والسادس في علم الاجتماع، ومعظمها يضم أكثر من بحثين لباحثين مختلفين، وتتصدر المجلد مقدمة في الصلة بين " التحليل النفسي والأنثروبولوجيا" بقلم جيزا روهايم، حاول أن يتتبع فيها تاريخ القول بهذه الصلة، ثم تقدم بمحاولته الخاصة في الابانة عن جوانب هذه الصلة والافادة منها في تكوين نواة لنظرية عن الحضارة من ناحية وعن جوهر الشخصية من ناحية أخرى، وقد راينا أن نلخص للقارئ هذه المقدمة وبضع مقالات من عدة أقسام متفرقة من هذا المجلد، حتى يقف بنفسه على بعض جوانب هذه الدعوة من حيث منهجها ونتائجها.

1- التحليل النفسي والأنثروبولوجيا:

ساهم في بحث هذا الموضوع فريق من المحللين النفسيين وفريق من الأنثروبولوجيين، ومن الفريق الأول نذكر فرويد وأتورانك وارنست جونز، ومن الفريق الثاني نذكر ريفرز وسليجمانو مالينوفسكى.

ولقد شيد فرويد بحثه في " الطوطم والطابو" على دعائم أربعة:

أ) إن المقدس والمدنس كلاهما طابو (أي محرم مساسه)، ونحن نشتهي ما نظهر أننا ننفر منه.

ب) إن الخوف الذي يبديه البدائيون، من الاتصال الجنسي بالمحارم ليس سوى دفاع ضد الرغبة فيه.

[1]: المرجع السابق، ص 227.

ج) إن المنتحبين على الميت انما يعاقبون أنفسهم بهذا النحيب، جزاء ما كانوا يحملون للميت من رغبات شريرة.

د) في الأنثروبولوجيا وفي علم الاجتماع وفي بحث الحالات الفردية يجب أن نضع نصب أعيننا هذه الحقيقة الهامة، وهي أن كل العلاقات الإنسانية تحمل التناقض في نفسها.[1]

وقد قدم فرويد الفصل الرابع من هذا البحث نظريته في الطوطمية، فالحيوان الطوطم رمز للأب، ورجال الآل (أو العشيرة البدائية) أبناؤه، أما نساء الآل نفسه، فكان الزواج " إجزوجاميا"، لأنه لو حدث العكس لكان معنى ذلك أنهم تزوجوا زوجات أبيهم "الطوطم"، وهذا محرم، ومن ثم فقد استنتج فرويد أن الطوطمية تقوم على عقدة أو ديب.

كذلك قدم فرويد في هذا الكتاب أرائه فيما يتعلق بالسحر والاسقاط وأصل الأشباح وما إلى ذلك من موضوعات تعتبر فرعية بالنسبة لموضوعه الرئيسي الذي كشف فيه عن الأهمية الكبرى للعقدة الأودبية كمفتاح لفهم جوانب الحياة الاجتماعية على اختلافها.

وبعد فرويد نذكر أوتورانكOtto Rank الذي اهتم ببحث موضوع المحارم من حيث إنه شائع في الشعر والأساطير، وارنست جونز Ernest Jones الذي تحدث في موضوعنا مباشرة وذلك في مقالة الموسوم والتحليل النفسي والأنثروبولوجيا".

على أن موقف الأنثروبولوجيين[2] من هذا الموضوع مؤسف حقا، فهم يرفضونه وينفرون منه، وربما كان صاحب هذا المقال (جيزا روهايم) هو وحده الذي يقبله بلا قيد ولا شرط، ومن الأنصاف أن نذكر بالخير ريفرزW.H.Rivers الأنثروبولوجي

[1]: إبراهيم عبد العزيز السمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2011، ص104.

[2]: المرجع السابق، ص 82.

الانجليزي، لمقاله الذي نشره بعنوان " الأحلام والحضارة البدائية"، (عام 1917)، فكان مشجعا إلى حد بعيد، وتبعه سليجمانC.G.Seligman وهو انجليزي أيضا، إذ نشر مقالا في " الأنثروبولوجيا وعلم النفس"، (عام 1924)، أما في أمريكا فقد جعل سابيرSapir يؤكد ضرورة التعاون بين الأنثروبولوجيا والطب العقلي، لكنه رفض التحليل النفسي، وفي عام 1935 نشرت روث بنذكتR. Benedict كتابا بعنوان " أنماط الحضارة"، حاولت فيه أن تقيم رأيها على أساس النظرة الجشطلتية وآراء اشبنجلر، غير أن هذه المحاولة منها للإفادة من علم النفس لم تكن لتحول بينها وبين تأليه المجتمع كما هي عادة الباحثين الاجتماعيين، فتفسر الظواهر الفردية بعلل اجتماعية.

والرأي عند روهايم أن العكس أقرب إلى الصحة، فإن الظاهرة الأكثر تعقدا وتكاملا تفسر بالظاهرة الأشد بساطة لا العكس، وقد كان هربرت سبنسر H.Speneer يرى أن علم الاجتماع يجب أن يقوم على أسس سيكولوجية، وينتهي الباحث من هذا العرض إلى ذكر موقف مالينوفسكىB. Malinowski، الذي يمتاز ببحوثه الميدانية المدققة مما مكنه أن يقدم لنا وثائق هامة، لكنه عندما حاول أن يختبر نظرية فرويد في الأحلام أخطأ في فهمها وفي تطبيقها.[1]

والواقع أن كثيرا من الأنثروبولوجيين يستخدمون المصطلحات الفرويدية دون أن يفهموا معناها، لكن الباحث لا يعدم الأمل في المستقبل، على أنه يشترط للشخص الذي يستطيع أن يقوم بسبر الواو اللاشعوري للحضارة أن يكون هو نفسه قد حلل تليلا نفسيا كما هو الشرط لكل المحللين، وهذا وحده لا يكفي بل يجب كذلك أن يكون الشخص من أولئك الذين، يمارسون التحليل بأنفسهم، حتى ينال الكثير من الخبرة والمران، ولا يكفي أن نقيم نظرياتنا الأنثروبولوجيا على تحليل الأحلام وحدها، بل يجب أن نجري تحليلا

[1]: كامل محمد عويضة، علم النفس بين الشخصية والفكر، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص82.

علاجيا عاما للبدائي، ولا يستطيع أن يقوم بهذا العمل إلى من كان يعمل على مقربة من البدائيين فعلا، كما هي حال ولف ساكس W.Sacks.

وقد قدم الباحث في هذا المقال طرفا من الآراء التي انتهى اليها هو نفسه في الأسس النفسية لاتجاه الحضارة وفي الشخصية الأساسية، وهي مقامة على أساس المشاهدة الواقعية أولا وقبل كل شيء.

وفيما يلي تلخيص لمقال آخر للباحث نفسه، في "تحليل الأحلام" والبحث التجريبي في الأنثروبولوجيا، ومنه نتبين منهجه في جمع مادة البحث وتحليلها.

2- تحليل الأحلام والبحث في الأنثروبولوجيا:

لا شك أن لتحليل أحلام البدائيين أهمية كبرى بالنسبة للأنثروبولوجيا، وقد اقترب من هذا الرأي معظم الأنثروبولوجيين من المدرسة القديمة، وألحوا على نقطتين:

أ) الأحلام كمصدر للاعتقادات الحيوية.

ب) كيف يؤول البدائيون أحلامهم.

وحديثا نرى سليجمان يؤكد هذه الأهمية في مقاله عن " الأنثروبولوجيا وعلم النفس"، وقد انتهى فيه إلى أن الآليات الأساسية لدى غير الأوربيين، حتى المتوحشين والمتبربرين، هي نفسها القائمة عند الأوربيين.[1]

أما محاولة جيزا روهايم فتتلخص في جمع عدد من الأحلام لشخصيتين بدائيتين في أستراليا الوسطى، وتحليل هذه الأحلام بالاستعانة بالتداعيات التي ترد إلى ذهن الشخص فيما يتعلق ببعض المشاهد أو الأشخاص في حلمه، ويعلق الباحث أهمية كبرى على مثل هذا التحليل.

أ- فالتداعيات تمدنا ببعض المعلومات الاثنولوجية.

ب- والأحلام تكشف عن المعنى اللاشعوري للنظم الاجتماعية.

ج- أضف إلى ذلك أن أبحاث التحليل النفسي تستطيع أن تفيد من هذا الاتجاه أيضا.

[1]: كامل محمد عويضة، ص 84.

ويؤكد الباحث أن الحلم إذا صحبته التداعيات فقد أمكن تأويله ولو لم نكن نعرف من قبل شيئا عن الوراء الحضاري لصاحبه، ذلك لأن طراز الحلم ليس محددا بطراز الحضارة التي أنجبت صاحبه، كما أنه ليس للنوم سوى طريقة واحدة لدى أفراد البشرية جميعا.

أما عن الأحلام التي أوردها الباحث، فقد أورد أربعة عشر حلما لشخص يدعى رامورامو، وسبعة أحلام لشخص آخر يدعى كاوانامو، وصحب كل حلم بالتداعيات الخاصة به ثم قدم تأويله، ومع هذه الأحلام قدم تقريرا مفصلا عن الظروف المحيطة بالشخص، أعنى وضعه الاجتماعي وعلاقته بالباحث نفسه، ثم تساءل بعد ذلك، ماذا نفيد من هاتين الحالتين فيما يتعلق بالنظم والمعتقدات؟ وجعل يحاول العثور على مفتاح لفهم السحر والأسطورة المصاحبة للطقوس.

هذا نموذج للبحث التحليلي التجريبي كما ينبغي أن يكون، وهو على هذه الصورة ذو فائدة محققة للكشف عن الأسس النفسية للنظم الاجتماعية المختلفة.

والصلة بين الميثولوجيا والتحليل النفسي في غير حاجة إلى زيادة من الإيضاح والاكتشاف الرئيسي في هذا الميدان يستمد اسمه من أسطورة أوديب[1]، واليك خلاصة مقال عن أسطورة الفتى الوسيم " نرجس" لترى مدى دلالتها السيكولوجية.

3- **نرجس: ملاحظة تحليلية:**

بقلم هنري ألدن بنكر H.A. Bunker.

جوهر الأسطورة الإغريقية أن الفتى "نرجس" أشد الفتيان رشاقة وجمالا، امتلأ بحب صورته التي رآها تنعكس على صفحة الماء، فظل على الشاطئ يتأملها حتى ضمر ومات، ويقال إن أفروديت ربه الجمال و "جماعة البنفسج"، عرضت عليه جمالها فرفضه.

[1]: مصطفى سويف ، مقدمة لعلم النفس الاجتماعي، المكتبة الانجلومصرية، د،ط، د،س، ص415.

هذه هي الأسطورة، ولعلنا إذا ذكرنا ملاحظة فرويد عن النرجسة أن ندرك ما لهذا الأسطورة من دلالة سيكولوجية عميقة، فقد قال فرويد إن الأنا يسقط جزءا من اللبيدوا على الأشياء، فيتعلق بها، ولا يستطيع أن يحمله بمفرده وإلا انتابه المرض، وقد حمل نرجس اللبيدو على شبحه (أي على نفسه)، ورفض أن يسقط بعضه على أفروديت، فكانت النتيجة أن مرض ومات.

كذلك أسطورة سايكوكيوبيد، تكشف لنا عن هذه العلاقة الدقيقة بين النرجسية والموت (أو ما يشبهه كالسبات)[1]، فقد راحت سايك تبحث عن كيوبيد الذي اختفى وقضت عليها فينوس بأن تقوم بمهمة شاقة جدا، وهي أن تجلب " صندوق الجمال" من أعماق الأرض المظلمة، واندفعت سايك تصدع بالأمر، وفيما هي عائدة بالصندوق فتحته لترى ما به، فلم تشهد جمالا ولكنها شهدت نوما كأنه الموت، وقد غلبها عبق الجمال فاستسلمت هي الأخرى للسبات، وهنا نجد رمزا نرجسيا، وقد ظلت نائمة حتى أيقظها سهم كيوبيد، أي عندما أسقط اللبيدو على موضوع خارجي.

ويحتوى القسم الخاص بالدين على أربع مقالات مختلفة لكتاب مختلفين، نكتفي بأن نشير إلى خلاصة إحداها، وهي بعنوان " وجوه جديدة للتجربة الدينية".

4- الدارسون الجدد للتجربة الدينية: من وليم جيمس إلى سيجموند فرويد:

بقلم ادوارد هيتشمانE.Hitchmann.

يتناول الكاتب هذا الموضوع من وجهة نظر التحليل النفسي، ويقتصر على هذا الجانب دون الجوانب الاجتماعية والتاريخية والحضارية للمشكلة، فهو يريد أن يؤكد أهمية عقدة أوديب في تحديد طرز الشخصية والعصاب والاتجاهات الدينية، لذلك نراه يعرض لنماذج من الشخصيات يبرز فيها العلاقة بين عقدة أوديب وبين الموقف الديني للشخصية.

[1]: بتر داكو، انتصارات التحليل النفسي، ص 93.

ومن النماذج التي عرض لها شخصية صمويل جونسون S. Johnson الذي قضى فترة من صباه في تمرد على الدين نتيجة لكراهيته لأبيه هذه الكراهية المترتبة على عقدة أوديب، لكنه لم يلبث أن أرتد قديسا ورعا، والنقطة الهامة أن تدينه كان ينحصر في الخوف من جهنم " كابوس حياته".[1]

وكذلك عرض لشخصية شوبنهور، الذي تمرد على أبيه الصلب كما تمرد على حب أمه، وأصبح ملحدا متشائما لكنه بقى متعلقا " بالقديس" كمثل أعلى، وقد كانت طفولة هذا الفيلسوف شقية، حتى لقد أمضى سنتين خارج حدود الأسرة اعتبرهما أسعد أوقات هذه الطفولة، وتكشف شخصية شوبنهور عن نوع من الحصر والشعور بالخطيئة وبعض الأعراض الوسواسية، كما أنه ظل يعاني من رغبات جنسية عارمة مكبوتة، والمنبع الآخر لتشاؤمه هو هذا الشعور العميق بخيبة الأمل عندما تغير سلوك أمه نحوه وفضلت عليه الحياة مع محبيها، ولقد كان طبيعيا أن يبدي شوبنهور تمرده على الدين مبكرا، لكنه ظل يأمل في المثل الأعلى وهو القديس، وقد وصفه بأنه من يستطيع أن يتغلب على الارادة والبغض والرغبة الجنسية.

عرض المؤلف أيضا لشخصية أوجست كونت A.Comte الذي كرس اثنى عشر عاما من حياته للنظر في حكمة عصره ومضمونها الموضوعي، مبعدا جوانبها اللاهوتية والميتافيزيقية، غير أن كونت عانى بعد ذلك تغيرا حاسما في شخصيته وانقلب من العلم إلى الايمان، وقد أثر ذلك في فلسفته تأثيرا لا يمكن انكاره، وكان كونت ذهنيا في الثامنة والعشرين من عمره، ووقع الطلاق بينه وبين زوجه في الرابعة والأربعين، ثم أحب فتاة أخرى فكانت مصدر انقلابه إلى الدين من جديد، وقد ماتت الفتاة بعد سنة قضياها سويا، وهنا تقهقر كونت إلى طفولته، إلى الأم حيث الاقتناع بلا مبرر موضوعي، وحيث الكاثوليكية.

[1]: نهاد خياطة، علم النفس التحليلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط2، سوريا، 1997، ص63.

وقد عرض المؤلف لعدة شخصيات أخرى مثل جوته وكير كجاردوفرويد وغاندي ووليم جيمس وغيرهم، وهذه كلها أمثلة دقيقة على صحة رأى فرويد القائل بأن موقفنا الديني يتحدد بمشكلات طفولتنا، كما عقد مقارنة خصبة وموجزة بين رأى فرويد ورأى وليم جيمس في هذه الناحية الهامة من نواحي حياتنا النفسية.[1]

5- نكتفي بعد ذلك بالإشارة إلا القسم الخاص بالأدب، وهو يحتوى على مقالين، أحدهما بقلم إدموند برجلرE.Bergler بعنوان " التحليل النفسي للكتاب والخصوبة الأدبية"، والآخر بقلم كلارنس أو برندورفC.P. Oberndorf بعنوان " التحليل النفسي في الأدب وقيمته العلاجية".

وفي المقال الأول عرض لمعظم النظريات التحليلية التي قيلت في تفسير ديناميات الإبداع الفني ونقد للفكرة الرئيسية التي قدمت فيها جميعا ومؤداها أن الأديب يجد في التأليف الأدبي فرصة طيبة للكشف عن بعض جوانب العقدة الأوديبية التي تكاد تمضي به نحو العصاب بما تسببه من ضغط لا شعوري على الجانب الشعوري من حياته النفسية، ثم يمضي الكاتب نحو تقديم تفسير تحليلي جديد مؤداه أن الأديب لا يكشف في أدبه عن رغباته اللاشعورية التي تسبب له الحصر، بل الواقع أنه يكشف عن وسائله في الدفاع ضد هذه الرغبات، أما هذه الرغبات فعلا فلا يسمح بالكشف عنها أبدا.

فإذا كان بعض الأدباء والشعراء خاصة قد كشفوا في أعمالهم عن بعض الرغبات الأوديبية، ويضرب المثل في هذا الصدد باستبدالStendhal بوجه خاص، فليس معنى ذلك أن هذه الرغبات هي التي تتمرد عليهم في أعماقهم اللاشعورية فعلا، بل الواقع أن البوح بها وسيلة للصمود في وجه رغبات أخرى أشد انغماسا في اللاشعور، والأديب يستعين بكل الوسائل لإغلاق أبواب الشعور دونها، حتى ولو كان من هذه الوسائل البوح ببعض الرغبات الأوديبية لتخفيف الضغط اللاشعوري ومواجهته في جانب واحد منه، أما ما هي هذه الرغبة في "الاطلاع"، وهي أشد تقهقرا في سلم الارتقاء الشهوي

[1]: فيصل عباس ، التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية، دار الفكر العربي، ط1، 1997، ص 71.

للفرد من أية رغبة أخرى، لأنها ترجع إلى المرحلة الفمية[1]، أولى مراحل هذا الارتقاء ويشفع الكاتب رأيه هذا بعدة وثائق حصل عليها من تحليله لعدة أدباء تحليلا نفسيا مباشرا دون الاقتصار على تحليل أعمالهم.

وفي المقال الثاني يعرض الكاتب الشائع عن الأديب يستطيع أن يتخذ من التأليف الأدبي وسيلة لشفاء نفسه من كثير من ضروب العصاب، لأنه يكشف في أدبه عن كثير من نواحي حصره، كما نعترف للمحلل النفسي بكثير من متاعبنا ورغباتنا التي تسبب هذه المتاعب، ولعل ما أشاع هذا الرأي هو انتشار الأعراض العصابية في الأعمال الأدبية بشكل واضح، بل لقد أشار بعض الكتاب (مثل سومرست موم S. Maugham) في بعض أقاصيصهم إلى هذا الرأي وعمدوا فعلا إلى تأليف القصص السيكولوجية.[2]

غير أن الملاحظة العابرة كفيلة بأن تكشف لنا عن فشلهم، ولو أن الأمر لم يكن قد جرى على هذا النحو لما وجدناهم يعودون بين الحين والحين إلى التأليف الأدبي يكررون فيه الكشف عن هذه الأعراض العصابية، ولعل أوضح الأمثلة على هذا الفشل كولردج الشاعر الانجليزي وإدجار ألان بو الشاعر الأمريكي وبودلير الشاعر الفرنسي، وقد عنى كثير من المحللين النفسيين بتتبع مواضع الشبه بين الأعمال الفنية والأعراض العصابية، نذكر من بينهم فرويد نفسه وإرنست جونز وهانز ساكس وشارل بودوان وبريل، لكن قلما وجد المحلل الذي يهتم بأثر التأليف الأدبي في الحالة النفسية للمؤلف.

وهكذا يعني هذا الكاتب بإلقاء الضوء على هذا الجانب الذي ترك مظلما، ويتخذ من حالة ناثانيالهوثورن N.Hawthorne أول روائي أمريكي ممتاز، مثالا لدراسة مفصلة بعض الشيء ينتهي منها إلى إثبات خطأ ذلك الرأي الشائع عن المهمة العلاجية للتأليف الأدبي، ويرجع ذلك إلى أن الاعتراف وحده لا يكفي، بل يلزمه التحليل النقدي

[1]: مصطفى سويف، مطالعات في علم النفس، مكتبة الانجلومصرية ، الاسكندرية، 1962، ص102.

[2]: المرجع نفسه، ص 104.

الذي يقوم به المحلل، إذ ينبه الشخص من حين لآخر إلى الحوافز اللاشعورية التي تكمن وراء هذه الإشارة أو ذاك الرمز وما يقصد أن يعبر عنه فعلا أو يخفيه، وهذا ما لا تتسع له الرواية لأن الشخصية الروائية يجب أن تظل دوافعها اللاشعورية كامنة في الخفاء تحركها كما تحركنا دوافعنا في حياتنا الواقعية.[1]

هذه خلاصة لبعض المقالات في حولية " التحليل النفسي والدراسات الاجتماعية" لم يقصد بها الالمام بكل ما ورد في هذه المقالات، بل قصد بها ابراز بعض الجوانب الهامة والمبتكرة في هذه البحوث.

[1]: مصطفى سويف، مطالعات في علم النفس، ص 103.

الفصل الثاني

تحليل قصة بيت من لحم

أولا : دراسة الشخصيات

1.سيرة موجزة للشخصية الرئيسة

2.الشخصية الرئيسة

3.سيرة موجزة للشخصيات: البنات الثلاث

4.سيرة موجزة لشخصية المقرئ الكفيف

ثانيا : ملخص ثورة الضباط الأحرار وربطه بالقصة

ثالثا : القراءة السيميائية لقصة بيت من لحم

رابعا : الجوانب المختلفة في القصة القصيرة << بيت من لحم >>

1.الجانب الاجتماعي

2. الجانب الأخلاقي (تدهور القيم الدينية و الأخلاقية)

3.الجانب السياسي

4.الجانب الاقتصادي

5.الجانب النفسي

خامسا : العلاقة بين أسطورة أوديب و القصة القصيرة بيت من لحم

1.ملخص أسطورة أوديب سوفوكليس

2.توظيف أسطورة أوديب في القصة القصيرة << بيت من لحم >>

أولا : دراسة الشخصيات:

1. سيرة موجزة للشخصية الرئيسة:[1]

الاسم: الأرملة، أم العود، امرأة، الإناث الأربع[2]

السن: 35 سنة.

الوضع العائلي: أرملة _ طبقة المعوزين.

الأولاد وأعمارهم: ثلاث بنات الكبرى : 20 سنة، الصغرى : 16 سنة، الوسطى : لم يذكر سنها في القصة و لكن اقترحنا تقريبا 18 سنة .

المظهر العام <<كل ما يبدو مفيدا>> : طويلة بيضاء ممشوقة، رأسها عـــار وشـــعرها مبلل ممشط، عيونها تلمع .

ترتيبات المعيشة : الفقر – بدوية – الأرملة تعيش مع بناتها في حجرة الحجرة رغـــم ضيقها تسعهن في النهار، رغم فقرها الشديد مرتبة أنيقة .

المهنة واسم المستخدم إن وجد : تقتات من بيوت الأغنياء "غسيل في بيوت الأغنياء".

درجة مهارتها في العمل: أمينة في عملها.

شعور الشخصية إزاء مهنتها : تعد قوتها لسد حاجيات بناتها الفقيرات .

الخلفية العائلية: الأرملة من مصر، وكانت حالتها النفسية حزينة بعـــد مـــوت زوجهـــا وكانت مستكنة في قاع المحجر، وصامتة، وبعد زواجها عوضها الزوج عـــن ســـنين المرض والعجز بغير أوان، وكانت فقيرة.

2. الشخصية الرئيسة

استعمل "يوسف إدريس" الشخصية الرئيسة بأربعة مصـــطلحات مختلفـــة وهـــي: الأرملة – الأم العود- امرأة – الإناث الأربع.

---

[1]: نانسي كريس ، تقنيات كتابة الرواية ، تر:زينة جابر إدريس ،الدار العربية للعلوم ناشـــرون، الطبعـــة الأولـــى 1430هـــ-2009م ،ص 29.

[2]: قصة قصيرة ، بيت من لحم، ص ص 3 -7 .

1.**الأرملة**: في قوله"الأرملة و بناتها الـثلاث "، وكـذالك" الأرملـة طويلـة بيضـاء ممشوقة "[1]، من خلال هذه التسمية نعرف أنها كانت متزوجة وزوجها تـوفي، وتعـد حياة الأرملة حياة شظف وحرمان ونكب، وكما أن غياب الزوج يترك فراغـا نفسـيا واجتماعيا رهيبا في حياة الأرملة وتعيش ضعفا، لأن الزوج هو سند الحيـاة الزوجيـة والأرملة عند موت زوجها تصبح الحياة لا معنى لها، تفقد الأمان والأمـل والسـكينة وتغدو كالبيت الخرب الذي لا سقف له، وهذا ما يعكسه النص الأدبـي فـي القصـة القصيرة حيث يعكس لنا الآلام الداخلية والمعاناة النفسية التي عاشتها الأرملة.

2.**الأم العود**: سماها "يوسف إدريس" الأم العود في قوله "و بالكـاد أخـذن مـن الأم العود[2]، من المحتمل أنه ليس من الضروري أن كل أرملة لها أطفال، بعد موت زوجها ما أما شخصيتنا "الأرملة " لها ثلاث بنات بمعنى أنها أنجبت مع زوجها ثلاث بنات في قوله " الأرملة وبناتها الثلاث "[3] لأن كلمة " الأم " لها معنى كبير، والأم التـي تنجـب البنات وكذالك الأم التي تربي وتتعب وتضحي من أجل بناتهـا وهـي سـر الوجـود وتتحمل الألم من أجل بناتها، وهي راعية ومسؤولة عن رعيتها، وهي تولت مسـؤولية الأب المتوفى ومسؤولية الأم لان لها بنات، والأم هي نصف المجتمع وعماده وأساسه فهي من تربي وتهتم ببناتها ومن تهتم بشؤون المنزل.

3.**امرأة**: وسماها كذالك " امرأة " في قوله"سخسخات امرأة"[4] كأنه يريد أن يقول هـذه الأرملة هي امرأة ولها زوج متوفى، وذكرها هنا بتسمية امرأة وليسـت أرملـة التـي تزوجت مرة ثانية وأصبحت زوجة لرجل كفيف، فقال امرأة لأنه يقصد به أنها تغيرت في تصرفاتها وذهب عنها الحزن والألم الذي عاشـته الأرملـة بعـد وفـاة الـزوج

[1]: قصة قصيرة، بيت من لحم، ص 3.

[2]: نفسه، ص 3.

[3]: نفسه، ص 3.

[4]: نفسه، ص 7.

وارتاحت في حياتها الزوجية كامرأة مع زوجها من الناحية الاجتماعيـــة والاقتصـــادية والنفسية وهنا قوله امرأة ولم يقل زوجة كأنه يوضح لنا أن التوافق والانســـجام بـــين الزوجة والزوج غير موجود لهذا قال امرأة وبينهما اختلاف كبير احتمال أنه لم يتزوج من قبل وكانت أول امرأة في حياته، أو أنها هي أرملة فلا تناسبه ولها ثلاث بنـــات أو أنها امرأة بصفات مختلفة عن الأرملة التي تكون ضعيفة وحزينة وكبيرة فـــي الســـن وذكرها باسم امرأة ولم يقل زوجة كما ذكر في القرآن الكريم ﴿ **وَمِنْ آيَاتِـــهِ أَنْ خَلَـــقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1]

وكذالك قال تعالى : ﴿ **امْرَأَتَ نُوحٍ** ﴾[2] ولم يقل زوج نوح .

4.**الإناث الأربعة** : كذلك سماها الإناث الأربع ووضعهم في حزمة واحدة، كأنه يريـــد القول إنه هناك تشابه في الخلقة بين الأرملة وبناتها الثلاث، أوفي وضعهم الاجتمـــاعي لأنهم عاشوا الفقر والمعاناة أو تقارب في السن لأن بناتها صغيرات وهي كذلك تركهـــا زوجها في سن 35 سنة، أو أنها لا تزال في تفكيرها أنثى غير ناضـــجة مثلهـــا مثـــل البنات الثلاث .

وربما أراد القول إن هذه الأرملة لا تزال ترغب في الزواج مثلها مثل بناتها .

3. **السيرة الموجزة للبنات**: [3]

الاسم :بناتها الثلاث، الكبرى، الوسطى، الصغرى .

السن : الكبرى 20 سنة، الصغرى 16 سنة، الوسطى تقريبا 18 سنة "لم يذكر القاص يوسف إدريس سنها ونحن جعلنا لها 18 سنة لكي يكون الفرق بينهـــا وبـــين أختيهـــا سنتين ".

---

[1]: سورة الروم آية 21.

[2]: سورة التحريم آية 10.

[3]:نانسي كريس، تقنيات كتابة الرواية، ص 29.

الوضع العائلي : طبقة المعوزين.

الأولاد وأعمارهم : كلهن عازبات .

المظهر العام "كل ما يبدو مفيدا": طويلات فائرات، لا يخلعن الثوب الكاسي الأسود قبيحات ورثن جسد الأب الأسمر المليء بالكتل، غير المتناسقة و الفجوات.[1]

ترتيبات المعيشة : الفقر، البنات يعشن في فضاء الحياة الضيق يتمثل في غرفة <<يعشن في حجرة الحجرة رغم ضيقها تسعهن في النهار >>[2] ويقصد هنا أنها تسعهن في النهار نظرا للأعمال التي يقمن بها في النهار يبقى الفراغ و أتساع في الحجرة .

المهنة : ماكثات في البيت .

الخلفية العائلية : يتامى الأب، البنات من مصر .

يمكننا القول إن وجود البنات في البيت يعد بلسم الحياة ونورها وخصوصا، إذا كن يتميزن بحسن الخلق والاستقامة والعفة، ويتركن انطباعا حسنا، في البيت ومن ثمة في المجتمع ولكل بنت لها مكانة في قلب أمها، ولهذا عمد القاص " يوسف إدريس" إلى تسمية "بناتها الثلاث " [3]، ومن خلال هذه التسمية يريد " يوسف إدريس" أن يوصل لنا فكرة أن الولد هو سند البيت بعد أبيه، فكيف يكون الحال في غياب هذا الولد وتسويد صورة المجتمع المصري للمرأة، ويتميز المجتمع المصري المسلم بأنه مجتمع محافظ، يولي اهتماما بالغا للعادات والتقاليد المتوارثة عبر الأجيال، حتى أن البعض يقارن هذه العادات والتقاليد بالتعاليم الدينية ويدعمها بفتاوى شرعية، فهناك عادات عرفها المجتمع المصري قديما ومن بينها أنه لا يذكر الزوج أسم زوجته أمام أهله والمجتمع، وأراد أن يجسد هذه الظاهرة كواقع اجتماعي رغم أنها ليست من الدين بالضرورة تماما .

---

[1]: قصة قصيرة، بيت من لحم، ص 3.

[2]: المرجع نفسه، ص4.

[3]: نفسه، ص 3.

وتتميز البنت الكبرى داخل البيت الأسري و خصوصا في مجتمعنا العربي بالاهتمام والمحبة والمسؤولية، وهي التي تلعب أصعب الأدوار في حياة أسرتها وأحيانا تصبح الأم البديلة في غياب الأم أوتوماتيكيا "معذرة على هذه اللفظة"تنصت لهم وتحويهم وتمد يد العون لمساعدتهم وبسبب مسؤوليات دورها في الرعاية بأسرتها، قد تغيب حياتها من أمام عينيها دون أن تشعر وكذلك تتعود على كيفية اتخاذ القرار في الوقت المناسب وتصبح لها شخصية قيادية .

ومن خلال هذا يذكر لنا "يوسف إدريس" اسم الكبرى في قوله " وتتأمل الكبرى ذات يوم خاتم أمها في أصبعها وتبدي الإعجاب به"[1].

وكأنه يريد أن يرسم لنا رؤية عن طموح البنت الكبرى في تولي المسؤولية وربطها بالطبقة الحاكمة في المجتمع المصري.

- أو يريد أن يبرز غريزة الأمومة عند الفتاة البالغة سن الزواج، وإن كانت هذه الظاهرة تبدو في سن مبكرة عند البنت فنراها تلعب بالدمية كثيرا، وتقوم بتربيتها وإرضاعها وتغيير ملابسها إلى غير ذلك مما تفعله الأم بالبنت الصغيرة.

وقد يدل هذا الفعل إلى شيء آخر يتمثل في الارتباط بالجنس الآخر فقط، ارتباطا مشروعا اجتماعيا وعرفيا ودينيا ؛ أقصد الزواج الشرعي بفارس أحلامها.

- و تمثل البنت الوسطى أكثر تميزا واتزانا، وفي قول "يوسف إدريس" الوسطى صامتة وعلى الدوام ظلت صامتة [2].

وتعد البنت الوسطى على المستوى الطبيعي أكثر تنافسا من غيرها ؛ تنافس الكبرى وتريد مكانتها في إدارة شؤون البيت في غياب أمها من الطبخ وغسل وتجفيف واستقبال الأجانب ..... وتنافس الصغرى في اللعب أو العودة إلى حياة الطفولة، فهي بين بين .

---

[1]: قصة قصيرة ، بيت من لحم، ص 10.

[2]: المرجع نفسه، ص 9.

- وعل المستوى السيميائي يمكن أن تكون البنت رمزا للطبقة المتوسطة في المجتمع المصري آنذاك وهي الساحقة .

- وعلى المستوى السياسي ليس بيدها القرار كالبنت الكبرى التي تمثل الطبقة السياسية .

وتمثل البنت الصغرى أكثر تدللا في البيت الأسري ولا تتحمل تبعات أفعالها ولا تستطيع تحمل المسؤولية في قول "يوسف إدريس"الصغرى تصبح بالصبر والهم وقلة البخت"[1] ويظهر لنا أن الطبقة الكادحة لا تتولى الحكم وليس لها نصيب من السلطة في النضج السياسي بل تكتفي بما يملى عليها .

- وهذه البنات الثلاث كأنها توحي إلى مثلث السلطة : (مادة السياسة)

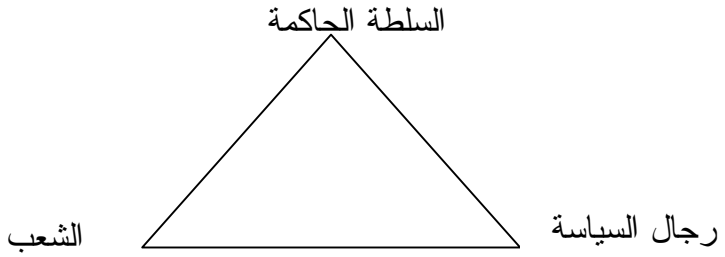

- وتمثل هذه البنات على المستوى الاجتماعي :

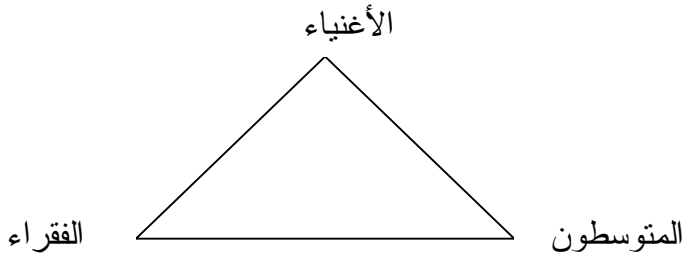

- وتمثل هده البنات على المستوى الاقتصادي :

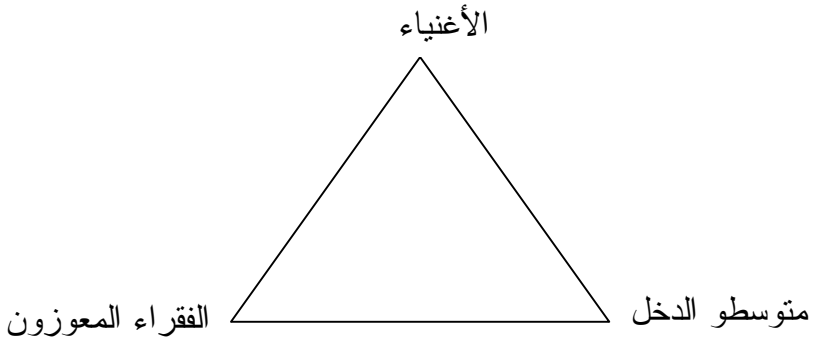

[1]: قصة قصيرة ، بيت من لحم، ص 10.

4. سيرة موجزة لشخصية المقرئ الكفــيف [1]:

الاسم : المقرئ الكفيف، الرجل الوحيد، الشاب، أعمى، الزوج، حلالها الأول.

السن: تقريبا في السن 27 سنة.

تاريخ الولادة: /

الوضع العائلي : أعزب _ طبقة المعوزين .

الأولاد وأعمارهم :/

المظهر العام "كل ما يبدو مفيدا ": العصي _الصندل _ملابس أبدا كانت نظيفة عمامتــه ملفوفة _ له شارب أخضر لكنه شاب _ اليد الممدودة [2].

ترتيبات المعيشة : الفقر _ الرجل ليس بعينيه _ بدأ يؤوب ساعة الظهر يــريح جســده ساعة من عناء ليل .

المهنة و اسم المستخدم إن وجد : قراءة في بيوت الفقراء.

درجة مهارته في العمل : أمين في العمل _ ومنضبط في الوقت (التلاوة).

شعور الشخصية إزاء مهنتها : تعد تلاوة القرآن قوته وسد لحاجياته.

الخلفية العائلية: حالته النفسية فرحة رغم أنه كفيف << سعيدا وكفيفــا و مســتمتعا >> وله صوت قوي عميق رنان، ويبحث عن بنت الحلال، وكان يصخب ويغني ويضحك وصوته حلو وهو يغني ويقلد أم كلثوم وعبد الوهاب، صوته عال أجش بالسعادة يلعلع.

ثانيا :ملخص ثورة الضباط الأحرار و ربطه بالقصة القصيرة "بيت من لحم":

تعد ثورة الضباط الأحرار من أهم الثورات في مصر، وهي عبارة عن مجموعة مــن الضباط أطلقوا على أنفسهم تنظيم الضباط الأحرار، وأطلق عن الثــورة فــي البدايــة "حركة الجيش " ثم اشتهرت فيما بعد باسم 23 يوليو، " وكانت حرب فلسطين سببا من الأسباب الرئيسية التي دفعت إلى تنظيم الضباط الأحرار والذي قاده جمال عبد الناصر

---

[1]: تقنيات كتابة الرواية، ص 29.

[2]: قصة قصيرة بيت من لحم، ص 4 .

بعد انتهاء القتال، وتوقيع الهدنة عام 1949 وظهر إسرائيل قسرا كدولة جديدة غير معترف بها فوق أرض الوطن[1].

- الضباط الأحرار: "هو تنظيم سري تأسس في مصر تكون من أحد عشر ضابطا وقف على رأسهم جمال عبد الناصر فقد كان الهدف من هذا التنظيم الإطاحة بالنظام الحكم القائم في مصر وإنشاء نظام جديد في مصر فقد عقد الضباط الأحرار العديد من الاجتماعات السرية وأصدروا البيانات التي تندد بالملك ونظامه وتطالب بالإطاحة بنظام الحكم في مصر، إلا أن هذا التنظيم تأسس رسميا عام 1949 بعد حرب فلسطين التي شارك فيها القائد العام لهذا التنظيم جمال عبد الناصر الذي تمتع بشخصية قوية ووطنية صادقة وأبرز الضباط الذين كانوا ينتمون لهذا التنظيم إضافة إلى جمال عبد الناصر كانوا : أنور السادات، عبد الحكيم عامر، علي صابر، جمال سالم، صلاح سالم خالد محيي الدين، كمال الدين حسين، حسين الشافعي، حسن إبراهيم، عبد اللطيف البغدادي محمد نجيب[2]، على خلاف الحركات العسكرية التي قامت بانقلابات كان يرأسها الجنرالات والقادة، وقد عرف الوطن العربي هذه الانقلابات في العراق لأول مرة مع انقلاب اللواء بكر صدقي عام 1936م رئيس أركان الجيش العراقي، وعندما علم الملك بتنظيم الضباط وحركاتهم ونشاطهم داخل الجيش وخصوصا بعد تحديهم له في انتخابات نادي الضباط وإصدارهم للبيانات والمنشورات بعد حريق القاهرة التي تحمل البريطانيين والملك مسؤولية الأحداث التي حدثت بعد الحريق وفيها رفض واضح لاستخدام الجيش كأداة لقمع الشعب ومظاهراته، قرر الملك القضاء على أولئك الضباط وقد كان مسعى الضباط الأحرار للسلطة في أيام المد في الصراع الطبقي يوليو 1952 يقوم أساسا على استبعاد الجماهير. والثابت أن التنظيم لم يسعى أبدا إلى خلق صلات

[1]: أحمد حمروش، قصة ثورة 23 يوليو، خريف عبد الناصر، القاهرة، د ت، ط2 1984م، ج 5، ص 11.

[2]: أحمد هاشم جواد، رئاسة جامعة بابل، تنظيم الضباط الأحرار في مصر وحركة يوليو 1952م، مجلة جامعة بابل العلوم الإنسانية، المجلد 18، العدد2، 2010، ص 7.

أو نفوذ جماهيري لا من خلال التحريض بين الجنود ولا من خلال الارتباط بالحركة الجماهيرية المتصاعدة في الشارع، بل إنه عندما انفجرت المظاهرات في26 يوليو 1952، وازدادت الدلائل على إمكانية التحرك الثوري الواسع للجماهير، كان رد فعل التنظيم (عبد الناصر)"هو التخطيط لانقلاب يقطع الطريق على الثورة و يسلم السلطة للوفد[1] . إذ أنه عندما استقر رأي الضباط الأحرار على التحرك في شهر نوفمبر 1952 حاول الوفد أن يستعين بشباب ضباط الجيش..... وكانت من بين الإنجازات السياسية التي قامت بها ثورة يوليو هي تأميم قناة السويس واسترداد الكرامة والاستقلال والحرية، وكذلك السيطرة على الحكم في مصر وسقوط الحكم الملكي وإلغاء دستور 1923 في ديسمبر 1952، وأما الإنجازات الثقافية إنشاء أكاديمية تضم المعاهد العليا للمسرح والسينما والفنون الشعبية وسمحت بإنجاز أفلام من قصص الأدب المصري الأصيل بعد أن كانت تعتمد على الاقتباس من القصص و الأفلام الأجنبية و توجد كذلك إنجازات اقتصادية و اجتماعية والعربية[2] . ومن بين مبادئ ثورة الضباط الأحرار الذي تم الإعلان عنها عام 1956 هي القضاء على الإقطاع، والقضاء على الاستعمار وإقامة جيش وطني قومي، وإقامة عدالة اجتماعية، وكذلك إقامة حياة ديمقراطية سلمية والقضاء على سيطرة رأس المال على الحكم.

- إن المتأمل في ثنايا قصة بيت من لحم يدرك أن القاص "يوسف إدريس"، يثور على واقع مر ولم يتقبله مثلما هو ثائر على ثورة 23 يوليو "حركة الضباط الأحرار" لان مسار الثورة تتنافى مع مطالبه، وكان معارض لثورة القوميين التي يترأسها جمال عبد الناصر لأن الفكر القومي يدعو لمركزية وفكر يوسف إدريس مناقض له، نظرا لأنه يدعم الشيوعيين ويدعو للاشتراكية، حيث أن النقطة الوحيدة السوداء في سجلات ثورة يوليو هي الاعتقالات السياسية في فترة 1954وحتى 1964، التي كان ينبغي التعامل

[1]: أحمد هاشم جواد، ص 16.

[2]: المرجع نفسه، ص 17.

معها على نحو آخر، "ولكن عبد الناصر ارتأى لها للصالح المصـــري، لا ســـيما مـــع انحياز اليسار وأقطابه للاتحاد السوفيتي عقب الخلاف الذي نشب بين عبـــد الناصـــر والاتحاد بتلك الفترة ومن الطبيعي أن يأمر عبد الناصر بـــالقبض علـــى الشـــيوعيين وكانت النتيجة اعتقال العديد من أبرزها ما أنجبت مصر من عقول، ومن أبرزهم أمين العام، صنع الله إبراهيم وعبد الحكيم قاسم" [1]، وعلى أثر هذا فقد اغتبط اغتباطا كبيـــرا بثورة الضباط الأحرار سنة 1952 تلك السنة التي كان فيها يوسف إدريـــس قـــد بـــدأ تدريبه الطبي في القصر العيني وفي نفس الوقت أخذ يكـــرس حياتـــه جـــديا للكتابـــة الإبداعية وكانت قصته الأولى "النظرة " مبشرة بموهبـــة كاتـــب واعـــد ..... توالـــت قصصه فيما بعد، حتى أصبح مسؤولا عن القسم الأدبي بمجل و << روز يوســـف >> لكن ما يجدر بالملاحظة في هذه الثورة إن شهر عسله << مع الثورة لم يدم طويلا، إذ أن سرعان ما أخذ يوجه انتقاداته لسياسة عبد الناصر مما أدى إلى أن يـــزج بـــه فـــي السجن سنة 1954، وقد اتسمت فيما بعد العلاقة بينه وبين النظام الناصري بحالة مـــن الشد و الجذب[2]. وقد كانت ليوسف إدريس مكانة في صحافة مصـــر آنـــذاك، كانـــت الجمهورية محطته الأولى والأهرام محطته الثانية والأخيرة حيث قال يوسف إدريـــس في حوار مع الصحافة :" أننا فرحنا جدا بالثورة ثم سرعان ما شاب تلك الفرحة خوف وقلق أن تكون هذه الثورة مجرد انقلاب عسكري يجهض الحركـــة الوطنيـــة الشـــعبية وعبرت عن مخاوفي بكتابة قصة الهجانة [3]، وهذا الحدث أثر علـــى كتابـــات يوســـف إدريس القصصية حيث مر بفترة صامتة، وبعدها كتب قصة بيت من لحم التي نشـــرت سنة 1958 حيث يمثل فيها الطبقة المهمشة في المجتمع، والتي تعد طبقة أســـوء مـــن

[1]: عبد الرحيم علي، ثورة يوليو في ميزان الأدباء ،الجمعة 22يوليـــه 2016، 421 م،البوابـــة نيـــوز ، ثـــورة يوليو www.albawabh nuews.com

[2]: مصطفى لغتيري، الإبداع القصصي عند يوسف إدريس، 2008/8/26، www.malewar.org

[3]: رشاد كامل، ثورة يوليو والصحافة، د ت، ص5.

الفقراء وكأن قصته رسالة إلى الفقراء، فقد قدم لنا يوسف إدريس إشارتين توحي بالفقر وحزنه الشديد على الواقع المرير أول إشارة هي ".... رغم فقرها الشديد[1]، فيبين لنا معاناة الفقراء أو بالأحرى الطبقة المهمشة في المجتمع المصري، والتي ليس لها حق المشاركة في صنع القرارات في الحياة الاجتماعية، ويعد الفقر مشكلة كبيرة وواحدا من المهددات الحقيقية للاستقرار الاقتصادي والأمني والاجتماعي في العالم العربي، "إن كلمة فقر تعني أشياء مختلفة لمختلف الناس ومن الواضح أن الفقر هو حالة لا يمكن فيها لدى الناس مداخيل مناسبة لكن من الصعب وضع خط واضح للفقراء وغير الفقراء[2]، ويشير القاص يوسف إدريس كذلك إلى الفقر المدقع الذي هو حالة من حالات الفقر التي لا يستطيع الإنسان معها الحصول على الحد الأدنى من الحاجات الغذائية الأساسية، في قوله : ".....فإذا كان الفقر هناك فهناك دائما من هو أفقر[3] ومن خلال هذا يظهر لنا أن القاص يناشد فيها الحكومة المصرية الاهتمام بالفقراء والجياع واليتامى والنساء الأرامل، وقد صور لنا يوسف إدريس أوضاع المرأة الأرملة في قوله "الأرملة وبناتها الثلاث، وكذلك وبالذات إذا كن يتامى[4] "، "كان نهارها غسيل في بيوت الأغنياء "[5] فالألم الذي تعيشه هذه الشعوب المحتلة المضطهدة من طرف الاستعمار من جهة ومن ناحية أخرى الحكومة في حد ذاتها من قرارات مجحفة، هو نتيجة لسلسلة من الاحباطات والنكسات السياسية والاجتماعية وتدهور الحالة النفسية، وبما أن القاص يوسف إدريس كان طبيبا نفسانيا فإنه عبر عن حالات من الشعب المصري المريض في كتاباته القصصية والروائية، وحاول معالجة وحل المشاكل السائدة آنذاك، وامتازت

---

[1]: قصة بيت من لحم، ص4.

[2]: بول آساموبلسون، الاقتصاد، ترجمة هشام عبد الله ، الدار الأهلية ، الأردن 2001 ، ص 396.

[3]: قصة بيت من لحم، ص4.

[4]: المرجع نفسه، ص3.

[5]: نفسه، ص8.

أعماله بالدعوة إلى الحرية والعدالة الاجتماعية من خلال الرصد الدقيق لتفاصيل البسطاء والهامشيين وما يتعرضون له من قهر سياسي واجتماعي ولها مضامين إنسانية واقعية في رؤية شمولية توافر لها رهافة الحس و شاعرية الوصف .

ثالثا: القراءة السيميائية لقصة بيت من لحم:

اعتمد الكاتب يوسف إدريس منذ بداية القصة بإظهار دلالات ثلاثة وهي الصمت والخاتم، والمصباح فكان تقديمه لعمل إبداعي متميز له جمالية فنية خاصة في القصة كما استخدم القاص زمن المضارعة بكثرة ليدل على استمرارية الحدث، وعلى الحال ويدل كذلك على الماضي، ويقول الكاتب "والبداية صمت "[1]، والصمت ظاهر في القصة وله دور مهم في القصة، يتحكم ويسيطر في سيرورة الأحداث، ويمثل الصمت الهدوء الذي يسبق العاصفة .

"وتعد المشاهد لصامتة وسيلة من وسائل تقديم المعلومات " [2]، ويمثل الصمت الترقب والانتظار، والصمت يزيد الترقب بوصفه عاملا في توطيد الحبكة، ويأتي الصمت بعد أن توفي الزوج بعد مرض طويل، تاركا وراءه ثلاث بنات شبيهات له وزوجة شابة في 35 سنة من العمر، طويلة بيضاء البشرة، وكأنه يوحي إلى جمال الأرملة التي تزوجت مبكرا وترملت مبكرا، هنا نلمس ظاهرة الزواج المبكر لدى المجتمع المصري حسابيا أن الأرملة دخلت القفص الذهبي وعمرها لا يزيد عن 15 سنة، باعتبار أن ابنتها الكبرى في 20 سنة فهو صمت الحزن بسبب موت الزوج وانتظار الأزواج، كما يظهر لنا الصمت من جديد، صمت حزين يتخلله صوت المقرئ الأعمى، والقراءة على روح المرحوم، وقد ربط الكاتب هذا الصمت في هذه الفترة الزمنية بيوم الجمعة الذي يعتبر عيدا ورمزا للمسلمين أين ترتبط الروح الإيمانية

---

[1]: قصة بيت من لحم، ص 3

[2]: ماركس ملتون، المسرحية كيف تدرسها و تتذوقها، تر: فريد مدور، بيروت، دار الكتاب العربي، 1965، ص 87.

بالمولى عز وجل في تعظيم هذا اليوم وتقديسه، باعتبار أن المجتمع المصري تقريبا عامته مجتمع مسلما محافظا متشبثا بتعاليم الدين، ويبقى الكاتب يحرك الصمت في كل مقطع، ويجعله دائما في قوله "إنما هو الصمت ..... والصمت دائم[1]، هو كالانتظار كالأمل ينقطع الصمت لأول مرة بصوت حقيقي يتمثل في اقتراح البنات على أمهن الزواج من المقرئ الأعمى، بعدما انقطعت رجله عن البيت فكان الحنين لذلك الصوت الرجولي الصامت، وتزوجته في قوله :"زاد عدد الأنفس واحدة "[2]، فكانت الليلة الأولى لتكشف الصدمة الواقعية إنها الحجرة الضيقة ذاتها زادت فيها نفس، هنا يصور الكاتب الوضع المأساوي لهذه الطبقة المعدمة والتي تمثل حالا واقعا في كثير من الأماكن بمصر، وينقطع الصمت مرة أخرى، ويمتلئ البيت بالنكات والضحك وغناء الشاب الأعمى لأم كلثوم وعبد الوهاب في قوله: " نكت تترى وأحاديث وغناء ؟ صوته حلو وهو يغني ويقلد أم كلثوم وعبد الوهاب[3] وكأن القاص يوسف إدريس يوحي إلى الزمن الذي جرت فيه أحداث هذه القصة، حيث كانت الثورة وقائدها جمال عبد الناصر وكانت أم كلثوم صديقة مقربة لعبد الناصر وعبد الوهاب كذلك حيث ألف أغان في مديح عبد الناصر، ومنحه السادات في عهده رتبة لواء وهذا رأي بعض مؤيدي الثورة "ربطت بين الزعيم جمال عبد الناصر وأم كلثوم علاقة وصلت إلى ما يشبه الصداقة وجمعتهما مواقف عديدة "[4]، وبعدها يأتي دور الخاتم الذي دلالته خاتم زواج أو حلقة أو حب تملك الختم أو الدوران في دائرة مفرغة، أما الخاتم في القصة فذكره القاص على أساس خاتم زواج الأرملة من زوجها الشاب الأعمى، في قوله: "الخاتم بجوار

---

[1]: قصة بيت من لحم، ص 6.

[2]: المرجع نفسه، ص 6.

[3]: نفسه، ص 7.

[4]: مجلة كيف أثر عبر الناصر في مشوار أم كلثوم و عبد الوهاب،http://www.masrawy.com

المصباح[1]، "الخاتم دائم وموجود صحيح، ولكن و كأنما الأصبع الذي يطبق عليه كل مرة أصبع[2]. هو خاتم الأم، وكذلك وسيلة الأعمى الوحيدة للتيقن من أنثاه وسط هذه الكومة من اللحوم النسوية الدافئة، أو يستدل به ختم الحكومة، لكن في احد المرات غاب الخاتم عن أنثاه ، "كان ممكنا أن تنتفض هالعة واقفة صارخة . كان ممكنا أن تجن كان ممكنا أن يقتله أحد، فليس لما يقوله إلا معنى واحد، ما أغربه وما أبشعه من معنى! ولكن غصة خانقة حبست كل هذا وحبست معه أنفاسها .... سكتت[3].

وهكذا بدأ الصمت يتسرب إلى البيت من جديد هي وابنتها الوسطى تصمتان على العشاء ثم تعجب الكبرى بالخاتم و تطلب ارتداءه ليوم واحد ولحقت هي الأخرى ببناء الصمت، ومن المحتمل أن دلالة الخاتم روحية بين الأم وبناتها الثلاث، وله ميزة القوة والإجلال والعظمة، وكذلك له إشارة أخرى حيث أن خاتم الزواج للمرأة يعني لها الكثير على عكس الرجل، لأنه يشكل جانب كبير من حياة المرأة العاطفية بعد الزواج إذ تعتبره حلقة تربط بينها وبين الشريك، ليس الخاتم يشكل لها بداية لحياة جديدة تختلف عن حياتها السابقة وتعتبره إنهاء لمرحلة والدخول في مرحلة جديد. "ولكن الصغرى تصبح - بالصبر والهم وقلة البخت - أكبر، وتبدأ تسأل عن دورها في لعبة الخاتم وفي صمت تنال الدور[4]، ويعود الكاتب من جديد في حلقة مفرغة تشبه حركة الخاتم في لبسه وخلعه، فتعطيهن الأم اللقمة من فمها وهو الخاتم، ويوحي القاص هنا إلى تضحية الأم من أجل بناتها، أو إنه أثار الأم من نوع غريب؛ إنها أم ترى بناتها الجياع لكنه جوع من نوع أخر، جوع فرضه الفقر، القبح واليتم ليزج بهن لتقاسم اللقمة الواحدة ولو بالحرام، فتبقى الأم بين نارين نار الحرام ونار جوع البنات، وكأن القاص يظهر لنا

---

[1]: قصة بيت من لحم، ص 3.

[2]: المرجع نفسه، ص 11.

[3]: نفسه، ص 8.

[4]: نفسه، ص10.

صورة قبيحة لأم وبناتها قتلهن العوز والانتظار الذي سريعا ما تبدل إلى اليأس. وكيف أن تكون البنات في مثل هذا السن الصغيرة بهذا القدر من اليأس مع الانتظار إنه لـــيس مجرد انتظار بل يحيط به صفات من القبح واليتم والفقر تبعد نظر أي شاب عن التفكير فيهن ؛ إنه انتظار مشتعل عند رؤيتهن أمهن في أحضان رجل يرضيها ومن المحتمل كذلك أن الخاتم يعني الارتباط والاتفاق بين عقدين، هو دلالة واقعية لها معنى مـــبطن آخر، يفضي إلى أن المواطن له أيضا ارتباط مادي ومعنوي بينه وبين الدولة، باعتباره مواطن صالح وعلى الدولة أن تكون صالحة تجاه المواطن وهاهو المصـــباح يأخـــذ دوره في القصة في قول القاص يوسف إدريس:"الخاتم بجوار المصباح، الصمت يحـــل فتعمى الآذان "[1]، فالصمت قابع والخاتم موجود لكن المصباح يطفـــأ ويضـــاء ليـــوحي بالحركة واقتراب موعد المتعة مع الأنثى صاحبة الدور، وأن كل أنثى مـــنهن تطفـــئ النور كي تظل هي ملكة ليلتها فلا تنصب نحوها الكشافات حتى تنـــال حظهـــا، ويعـــم الصمت "ولا يبقى منكتا مغنيا إلا الكفيف الشاب، فوراء ضجته تكمن رغبة تكاد تجعله يثور على الصمت وينهال عليه تكسيرا .....إنه هو الأخر يريد أن يعرف.....عن يقين يعرف"[2]، وأدرك هنا الأعمى الأمر ومن حينها لاذ هو أيضا بالصـــمت، لقـــد صـــار الصمت الأخير هذا قويا، أو دلالة أخرى للمصباح أنه رمز تفضى لمعنى الوضـــوح والكشف عن الأماكن المظلمة من قبل سياسة البلاد و كشف هذا الظلم لـــدى الشـــعب المظلوم، حيث في نهاية القصة يتربع الصمت على أنقاض البيت فهو ذاته يتربع علـــى أنقاض الضمير بالمجتمع فصمت يعمي أذنيه عن السماع بالمشـــكلة، وســـماع آهـــات الشعب المريض من سياسة الدولة، إنه الصمت المتفق عليه من سائر القوى المجتمعية و ظلام يعمي العينيين عن النظر إلى المشكلة بعين الاعتبار لذا أخذ المجتمع يلف فـــي حلقة مفرغة تشبه حركة الخاتم لا يصل إلى حل نهائي .

---

[1]: قصة بيت من لحم، ص 3.

[2]: المرجع نفسه، ص ص10-11.

- ويبقى السؤال الأخير "أم على الأعمى حرج ؟"[1]، في هذه القصة يقفل الكاتب الأحداث على سؤال مفتوح للمتلقي يتركه بلا إجابة في حرفية أدبية تجعل القارئ يفكر ويعيد النظر في ملابسات الأحداث ويغوص في الشخصيات وتأويلها بعمق ليجد الإجابة من النص ومن المحتمل لدينا أن تكون دلالة النهاية المفتوحة بسؤال في قوله أم على الأعمى حرج ؟، بأنه ابتعد هذا الأمر القرآني في قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ** ﴾....."[2]، وقصده هو ضرب تلك الآيات أو الدين أمام الفقر والجوع، وأمام ظلم السياسة التي لم يجد لها حلا، وتعد أفكار الأديب يوسف إدريس ماركسية و معروف أن هذا الفكر هو ضد الدين الإسلامي أو الديانات الأخرى.حيث كان ينشد إلى المدنية والاشتراكية في فكر العولمة أو البراغماتية الاجتماعية أي أن العقل هو أساس الإنسان وليس العاطفة الدينية، فهو يسحب القارئ إلى هذا الفكر ويغازل مشاعر القارئ بتلك الأفكار حتى يبتعدوا عن أمر الله سبحانه، واستخدم الكاتب أيقونة مجتمعية وهذه الأيقونة هو الشاب الكفيف المقرئ، ليحصل معيشته من خلال قراءة القرآن، وكأنه يريد أن يقول أن الإنسانية ليست بالعاطفة والدليل أن الكفيف يقرأ القرآن ولم يفعل به، بحيث مارس الرذيلة مع البنات الثلاث من زوجته الأرملة وهذا على حسب رأينا والقراءات تختلف وتتعدد حسب وجهة نظر كل متلقي قارئ وأغلب الظن عندنا أن هذه القصة القصيرة جديدة من نوعها إذ تجعل القارئ المتلقي شريكا في نهاية القصة وتأويلها، وهذا ما يعرف في النقد الحديث بالرواية الجديدة التي ظهرت في فرنسا في الستينيات وعلى يد فوكو وغيره .

---

[1]: قصة بيت من لحم، ص 12.

[2]: سورة النور ،آية 61

رابعا:الجوانب المختلفة لقصـــة بيت من لحـــم:

أولا:الجانب الاجتماعي: بناءا على ما جاء في الفصل الأول الذي تقدمنا به ســـننزل النظري للتطبيق : تعد قصة بيت من لحم للقاص يوسف إدريس تصويرا لمظاهر واقع المجتمع المصري خاصة ومن المحتمل المجتمع العربي عامة، فالبيـــت الـــذي تقطنـــه الأرملة وبناتها الثلاث، بيت يتكون من حجرة، تجسيد لمعاناة الطبقة الفقيرة في المجتمع العربي، حتى أن هذه الأسرة لم تجد بيتا يليق بعدد أفرادها هذا الأب الذي توافاه الأجل بعد معاناته من مرض ألزمه الفراش طويلا، لم يستطع أن يوفر لهم بيتـــا حتـــى فـــي سطوح العمارات، كما عهدت عليه جل الأسر المصرية، بيت يصون شـــرف زوجتـــه وبناتها الثلاث، بيت تتعلم فيه كيف تحافظ هذه البنات عن القيم النبيلة، ولكن هيهات في الوقت الذي نجد فيه مختلف الطبقات كانت تنعم ببيوت فاخرة . طبقة حافظة على تقاليد البناء العمراني المصري، ومنها تأثرت بالحركة العمرانية الغربية، ".....فلم تنحصـــر طريقة العيش التي نقلها الأجنبي إلى المجتمع الجديد في نوع اللباس أو نمـــط الأكـــل أو طرق ووسائل النقل بل تجاوزتها إلى أبرز هذه الطريقة مستوى البناءات والتهيئـــة العمرانية الجديدة، فظهر الفرق واضح بين نوعين من الأشـــكال المعماريـــة : -نـــوع محلي متدهور -نوع معماري غربي[1]، فالبيت ذو حجرة واحدة يملاه اللحم ولكن لحـــم دافئ، تمثل في الأرملة وبناتها الثلاث، هذه الأرملة التي تركها زوجهـــا فـــي ريعـــان شبابها نجدها في بداية القصة أرادت الأم أن تضحي من أجل رعاية بناتها والسهر على تربيتهم وتأمين لهم العيش الكريم .

سرعان ما وجدت نفسها في أحضان شاب أعمى مقرئ زوجا لها بعد أن رفضت بناتها الزواج منه. تعد الأم هي الأمة الروحانية، والبنات هن الأجيال المتعاقبة، البنات

[1]: محمد رشيد ثابت ، البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام ،لمحمد المـــويلحي ، الـــدار العربية للكتاب، 1982، ص 227.

الذي وصفهم الكاتب بالقبيحات في قوله: "..... قبيحات ورثن جسد الأب "[1] شوه صورتهن ألم يضفي إلى ألم أخر تمثل في الفقر واليتم والجوع، ولكن جوع من نوع أخر، هذه العوامل أو الأوصاف تبعد أي شاب في التفكير في النظر إليهم، إنه انتظار مشتعل عند رؤيتهن لأمهن في أحضان رجل يرضيها، فيتطلعن هن اليائسات إلى مثل هذا الرضا والطريق إلى تلك التطلعات والأمل المنشود، هو وجود الخاتم الذي منحته الأم الأرملة إلى بناتها طوعا أو إكرها لأنها تدرك الحال التي تنتابهن، لكي تقضي كل بنت بغيتها وحاجتها في ليلة خاصة رفقة هذا الأعمى المقرئ في الحرام، كاسيات بلباس الحداد عاريات وهنا يبدو الانحلال الأخلاقي في وجود تأثير الحضور الأجنبي وفي هذا يقول المؤلف: "والمرأة الغازلة، تزينت بزي الأجنبيات، فنبذت الخمار والازاز، وتبدت في القبعة و الزنار "[2].

- يصور الكاتب لمظاهر التحول في المجتمع المصري الجديد، من خلال إدراكه لوجود قيم أصيلة في طريق الانحلال بسب ظهور قيم متدهورة في طريق التركيز والانتشار. وتكون أغلبها ناجمة عن عاملين ؛ التحول الاقتصادي من جهة و استقرار الأجانب بالبلاد وانفرادهم بأحياء سكنية خاصة وطريقة عيش متميزة.

إن وجود الفقر واليتم والجوع هذا الثالوث الاجتماعي الراكن في هذا البيت الأسري فرضته عوامل فوقية، كيف لأسرة أن تضمن لها السعادة والاستقرار والاستمرار والتواصل بين أفرادها في غياب أب أن يضمن لها الحياة الكريمة، وأبسط شروط الحياة، كيف لأم تزوجت مبكرا وترملت مبكرا أن تخرج إلى العمل في وجود مجتمع لا يرحم، في مجتمع اختلت فيه المفاهيم، وانحلت فيه الأخلاق لعامل أو لأخر إن الفقر هو هلاك الأسر وهلاك المجتمعات، وإن كان الفقر يختلف من مكان لآخر في مختلف المجتمعات وفي هذا يجتمع علماء الاجتماع بقولهم:"يرى هؤلاء أن الفقر ما

---

[1]: قصة بيت من لحم، ص3.

[2]: البنية القصصية ومدلولها لاجتماعي من حديث عيسى بن شام المويلحي، ص 224.

يجرى تعريفه ثقافيا، وفي سياقات شاملة للحرمان، ومن الخطأ الافتراض أن الحاجات البشرية متطابقة في كل مكان، أي أنها في واقع الأمر تتباين في المجتمع الواحد، وبين المجتمعات المختلف[1].

وهذا ما يؤدي إلى تفسيرات كثيرة للفقر." يمكن تقسيم التفسيرات المختلفة للفقر بصورة عامة في مجموعتين من النظريات، ترى أولاها أن الأفراد الفقراء هم المسؤولون عن فقرهم بالدرجة الأولى، بينما تعتقد المجموعة الأخرى أن القوة الهيكلية والعوامل البنيوية في المجتمع هي التي تنتج الفقر و تعيد إنتاجه"[2]، إن الجوع الذي ألم بهذه الأسرة هو الذي كتب لها تأصل الصمت بداخلها، هو الذي جعله يركن فيها إضافة إلى اليتم، أم ترملت، وبنات تيتمن، في غياب أب يتواصل مع أفراد أسرته لأخذ رأيهم، واستشارتهم في أكبر المسائل وأصغرها بنات في حاجة إلى صدر حنون، وأيد تمسح على وجوههم شيئا من العطف والحنان، وهذا الجوع الذي دفع بهاته البنات لينغمسن في الحرام رفقة زوج أمهن، إنما هو عامل الجفاء العاطفي.

ومن المحتمل أن الكاتب يوسف إدريس من خلال قصته أراد أن ينقل لنا واقع المجتمع المصري العادي إلى واقع محلل، ليصور لنا جانبا اجتماعيا أبرز فيه بعض الظواهر الاجتماعية التي تعكس واقعا طبقيا يتجاوز حدود التمثيل الفردي، وقد شمل هذا الواقع الطبقي مجموعة الباشوات الأتراك والذين كانوا يشغلون مناصب حكومية عالية في مصر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر وقد أشير في عديد من المواضع إلى الأصل التركي لهؤلاء الباشوات، فنجد الباشا مثلا يتعجب من تغير الأحول السياسية، ومن ضياع نفوذ الأتراك على المصريين، وفي هذا يقول محمد المويلحي:" و لم يبق لقرشي على حبشي فضل، ولا لأمير منا على مصري أمر، ذلك

---

[1]: أنتوني غدير، علم الاجتماع ،(مع مداخلات عربية)، ترجمة : الدكتور فايز، الصباغ، المنظمة العربية للترجمة مؤسسة ترجمان، بيروت، د ت، الطبعة الرابعة، د ت، ص 373.

[2]: المرجع نفسه، ص384.

ما لا يكون ولا تحتمله الظنون "[1]، فالباشا يعد نموذج يعكس ذهنية وسلوك طبقة اجتماعية كان لها من النفوذ السياسي ما سمح لها بفرض وجودها داخل المجتمع المصري . وعلاقته بالسلطة الحاكمة على أنها أولياء نعمته . إن الظاهرة الاجتماعية كما يرى "دوركايم " هي ليست كل شيء يحدث في المجتمع فالنوم، والأكل، والتأمل هي ليست ظواهر اجتماعية، ولذا يسوق دوركايم كثير من الأمثلة عن الظواهر الاجتماعية، فيقول:" إن الطقوس الدينية، والعادات الاجتماعية، و نظم الزواج والطلاق والقرابة و المصاهرة هي صور مختلفة من الظواهر الاجتماعية وهذه الظواهر الاجتماعية تفرض على الفرد الالتزام بسلوك معين، وعدم الحياد عن قواعد وأحكامه[2].

ثانيا: الجانب الأخلاقي (تدهور القيم الدينية الأصيلة والأخلاقية):

يبدو من خلال تأملنا في أحداث قصة "بيت من لحم " للأديب يوسف إدريس والوقوف على سيرورة أحداثها، يظهر لنا أن أصحاب العقيدة الإسلامية مروا بفترة تحول مماثلة لفترات التحول السابقة، فمن أفراد محافظين يعيشون على هامش التحول الاجتماعي والاقتصادي انتقلوا إلى أفراد يعكسون هذا التحول في أجل مظاهره فصورة الأعمى الشاب الكفيف المقرئ تعكس صورة ذلك التحول فهل كانت تلاوته للقرآن من أجل التلاوة ؟ أين تدبره في معاني القرآن؟ أين خشيته لله؟ أين كانت استقامته وعفته. أين محافظته على القيم الدينية ؟ أين إقامته لحدود الله؟ ما الذي يفسر الاستسلام لنزواته وشهواته من أجل إشباعها في ممارسة الفاحشة ومعاشرة البنات الثلاث من زوجته الأرملة، أين تلك الصورة المشرقة والتي كانت تتصورها البنات

[1]: البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي من حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي، ص 127.

[2]: الدكتور طالب عبد الكريم كاظم القرشي ،الظاهرة الاجتماعية عند إميل دوركايم (تحليل اجتماعي)، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، العدد السادس، السنة الثالثة، 2012، ص 334.

الثلاث في هذا الشاب باعتباره الأب الذي سيملأ السعادة على وجههن، الـــذي ســـيجدد حياتهن سيمهد صعيد نص الطريق نحو مستقبل مشرق وغد أفضل .

إن قدوم الشاب الأعمى و دخوله البيت زاد من المشكلة إلى مشكلة أخـــرى إلـــى مصيبة أعظم. ومن أسس عوامل بناء أسرة مسلمة ســـعيدة تضـــمن لهـــا الاســـتقرار والاستمرار: الخلق والدين، وجود الرجل و المرأة صالحين، الزوجة الصالحة، يقـــول النبي صلى الله عليه وسلم، " إن الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا الزوجة الصـــالحة[1] فهذه الأم الأرملة لم يكن باستطاعتها أن تحافظ علـــى عفـــة وأدب واســـتقامة بناتهـــا وتربيتهن تربية رشيدة، لسبب أو لأخر قائمة على أساس الخلق والدين في قول الشاعر أحمد شوقي:

وإنما الأمم أخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا[2].

إن الأعمى المقرئ يمثل تدهور القيم الدينية تجاوز مستوى لها من جهة ومن جهة ثانية غياب الوازع الديني، إنما هو تجسيد لصور كثيرة ومشاهد مجسدة فـــي انحـــلال القيم الدينية في المجتمع العربي، من خلال صورة اندماج الأفراد المتبنين لها في سياق التحول الاقتصادي العام، إذ أصبح هؤلاء يستخفون بالدين ويشغلونه لكســـب الأربـــاح المادية، فالمحامي الشرعي اتخذ الصلاة قناعا لمخادعة حرفاته، وهذه صـــفة الريـــاء والنفاق التي كانت مجسدة في هؤلاء، ومثلهم هذا الشاب الكفيف المقرئ، وهذه النظرة السائدة في ذلك العصر الجديد، كان هناك أفراد لا يميزون بين العقيدة والإلحاد، حيث يعبر أحد أبناء الأمراء عن تنكره للقيم الدينية فيقول مكذبا إمكانية انبعاث الباشـــا مـــن

[1]: محمد ناصر الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف الرياض، د ت ، ط 3 – 1409هـ - 1988 م ، ج2 ، ص 3.

[2]: أحمد شوقي، الأعمال الشعرية الكاملة الشوقيات، دار العودة، بيروت 1988، الطبعة الأولى، د ت، الجزء الأول ص 12.

القبر، "ولا أنا ممن يصدق بحديث البعث في الآخرة،فكيف برجوع الموتى إلى الدنيا[1].

ولقد ساهم هؤلاء الأفراد السابقون بطريقة غير مباشرة في تدهور القيم الدينية بانفرادهم التام عن الواقع الاجتماعي، فقد عمل أفراد آخرون على تدهورها مباشرة وعلى تجذير التحول الاجتماعي في المستوى الديني، انتهى هؤلاء الأفراد في معظمهم إلى فئات اجتماعية تبنت نمط الحياة الغربية وحاولت تطبيقها في الحياة اليومية إثر عودتها إلى البلاد المصرية بصفة خاصة والبلاد العربية عامة، فالقيم الدينية التي تبناها الأفراد المحافظون أو المتحولون كانت في حالة تدهور واضح ساعد على فرض الهيمنة الأجنبية اقتصاديا وسياسيا، وقد نتج عن هذا التدهور، تدهورا أخلاقي عام تمثل في التخلي عن القيم الأخلاقية "الأصيلة " المستمدة من الدين، وفي تبني قيم أخلاقية دخيلة جعلت البلاد المصرية تمر بطور أخلاقي شامل. ومما يلاحظ في قصة بيت من لحم عند وقوفنا لدى الأحداث المرتبطة بالشخصيات، أن كل الشخوص من الأم الأرملة، وبناتها الثلاث، والشاب المقرئ الكفيف يمثلون مرحلة الشباب، فنلمس فيهم غياب الوازع الديني.

وفهم الأحكام الشرعية بما نصت عليه الشريعة الإسلامية أو الأديان الأخرى وفي الامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه، وإلا كيف يفسر إقدام الشاب الأعمى على ممارسة الزنا والخنا رفقة البنات الثلاث، وهو متحصن متعفف، فمرحلة الشباب لها من الأهمية بمكان في شدة تعلق الفرد بالله والثبات على دينه. وفي هذا يقول عبد الله الخريجي :" ..... فالدين يشمل الدوافع التي تحكم سلوك الإنسان بدائيا أو متحضرا على أن تصور كنه الدين يختلف باختلاف الأفراد وفي الفرد الواحد في مراحل حياته ففي كل مرحلة من العمر يختلف تأثير الدين فيها عن غيرها من المراحل ففي فترة

[1]: البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام، ص 24.

الشباب والمراهقة يلعب الدين دورا هاما ومرشدا، فإما أن يكون الفرد ملتزما بدينه متمسكا بعقيدته، وإما أن يكون غير ذلك[1].

إن الانحلال الديني وانهيار الخلق والقيم الأصيلة في المجتمع المصري إنما نمت على أنقاض تحول سياسي واقتصادي متدهورين نتيجة لعوامل داخلية تمثلت في نفوذ الطبقة الحاكمة من جهة، وعوامل خارجية تمثلت في سيطرة القوى الأجنبية على جل ثروات البلاد، ولكن هذا لا يمنع أن لا يتأثر الدين لمتغيرات الواقع وظهور مختلف الأزمات فعلى الفرد أن يثبت على دينه لأنه جانب فطري في الإنسان، ولأن الدين يعد طريق أنجع إلى توجه الإنسان في هذه الحياة وفي هذا يقول الدكتور عبد الله الخريجي <<إن حاجة الإنسان إلى الدين حاجة فطرية ....، فالدين ضرورة فطرية شعورية لا علاقة له بملابسات العصر والبيئة، وكم كان شقاء الإنسان وحيرته وضلاله حين أخطأ فهم حقيقة هذا الارتباط، وهذا التفسير، أي أن حاجة الإنسان إلى الدين حاجة فطرية مركزة في طبيعته النفسية، ومغروسة في شعوره و ممتزجة في دمه وأعصابه وحسه[2].

تدهور القيم الأخلاقية:

كان التدهور الأخلاقي نتيجة طبيعة وحتمية لتدهور القيم الدينية، وللتحول الاقتصادي والاجتماعي الذي تمثل في ظهور طبقات ناشئة من بينها الطبقة البرجوازية الصغيرة التي اندفعت بتحررها إلى التعلق بمظاهر الحضارة الغربية المتشبعة بثقافتها وقد عم هذا التدهور كامل مجالات الحياة في العهد الجديد فأدى إلى "انحطاط في الأخلاق وعظم بلاؤه واشتهر[3]؛ وإلى انقلاب سلم القيم الأخلاقية تحت تأثير التحرر

---

[1]: عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، سلسلة دراسة في المجتمع العربي السعودي، د ت ، ط 2 -1990، ص 37.

[2]: المرجع نفسه، ص 38.

[3]: نفسه، ص 221 .

الاقتصادي، " تمكن التحاسد والتباغض، فديت بين الناس عقارب التشاحن والتضـــاغن واستولى على قيودهم الجبن والخور وعلى عقولهم الضعف والخبل وعلـــى نفوســـهم الفتور والكسل، فوصلوا إلى الحال التي يرونها بها السنة بدعة، و البدعة سنة والفضيلة نقيضة، والنقيضة فضيلة[1].

ومن خلال قراءتنا المتأنية لقصة بيت من لحم للأديب يوسف إدريس تتجلى لنـــا بوضوح بعض مظاهر هذا الانحلال الخلقي الذي تمثل في ارتكـــاب البنـــات الـــثلاث للفاحشة وممارسة الزنا في حضن زوج أمهن المقرئ الكفيف والاستسلام لهاته النفس الأمارة بالسوء لإشباع رغباتهن و نزواتهن، ويرجع سبب ذالك إلى هذه الأم الأرملـــة التي دفعت ببناتها الثلاث إلى أن ترمي بأنفسهن في أحضان هذا الشاب وكان الأجـــدر بها أن تحافظ على عفتهن هذه المرأة المتصلة من مسؤوليتها أملـــت عليهـــا عوامـــل اجتماعية بحتة فرضت عليها إلى اللجوء في مثل هذا النوع من الأساليب للتفكير.

هذا الشاب الأعمى المقرئ، بدل أن يحل حل الأب المتوفى، ويكون نموذج يقتدى به في أنموذج الأبوة انغمس هو الأخر لإشباع نزواتـــه، وراح يغـــازل هاتـــه البنـــات ويعاشرهن في الحرام، فصار البيت مكان اللهو للبحث عن المتعة الجنســـية، بـــدل أن يكون مكان للعفة والاستقامة. وهذا المشهد ليس وليد اللحظة، إنما هو وليد مشاهد كثيرة ميزة ذلك العهد الجديد لواقع المجتمع المصري و طبقاته على اختلافها وتنوعها، قـــال تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الـــدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [2]. وقال الله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَـــا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَـــاءُ**

[1]: عبد الله الخريجي، ص 231.

[2]: سورة النور، الآية 19.

ۗ ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، إن ما يحدث في بيت الأسري إنما هو صورة مشابهة تعكس للواقع المحلل للمجتمع المصري، الذي شبت فيه المغازلة للنساء في خلق مآسي اجتماعية عديدة، " فكم فرقت بين المرء وزوجته، وولدت العقوق بين الوالد وولده وألهبت العداوة بين الأخ وأخيه، وكم خربت بيوتا عامرة، ودنست أنسابا طاهرة، وكم بذرت للشر أسبابا، وفتحت للسجون أبوابا "[2].

إن هذه المغازلة لم تكتسي طابعا تحرريا يجعل الرجل متصلا بالمرأة اتصلا طبيعيا مبنيا على تساو بين الجنسين نابع عن تطور دخلي للواقع الاجتماعي، بل اكتسب طابعا اقتصاديا ماديا، اقتصر على استغلال هاته النساء لمغرياتهن الجسمية كي تسلب أموال معشوقيها .

إن انغماس البنات الثلاث في المعاشرة والزنا والخنا رفقة هذا الأعمى ومغازلتهن له بواسطة لبس الخاتم، إنما وجدن في هذه المغازلة والمعاشرة طريقة من طرق التحرر المؤقت، بل هو تعبير عن فراغ وجفاء عاطفيين افتقرن إليه لمدة زمنية طويلة وسبب أخر جعل لتدهور القيم الأخلاقية في هذا البيت ؛ هو ظاهر الاختلاط اختلاط النساء بالرجل الأعمى، إضافة إلى ضيق المسكن المتكون من حجرة واحدة كيف تتقبل هاته البنات وتصبرن على كل هذه الآهات و طول السهر والبنات في سن الزواج ومعاشرة الأم للشاب أمام أعينهن، وهن تدركن ذلك لأنه كما سبق ذكره تعود إلى الأب المتوفى الذي لم يكن بوسعه توفير مسكن يليق بعدد أفراد أسرته، قال عليه الصلاة والسلام :" علموا أبناءكم الصلاة في سبع، واضربوهم إذا بلغوا العشر، وفرقوا بينهم في المضاجع "[3]، إن هذه الظروف هي التي دفعت بهذا الشاب أن يختلي بهاته البنات

[1]: سورة النور، أية 19.

[2]: البنية القصصية و مدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هاشم، ص 234

[3]: سعد علي فركوس ، تربية الأولاد وأسس تأهيلهم ودار العواصم للنشر و التوزيع ، الجزائر، د ت ، ط 2، 1438هـ، 2017، ص 30.

الثلاث، ومجالستهن ومغازلتهن لتحقيق وطره ووطرهن، وهذا أيضا يمثل مظهرا آخر من مظاهر تصوير لواقع المجتمع المصري المسلم من خلال العلاقة بين الرجل والمرأة التي كانت مبنية على المغازلة عن بعد في أماكن أخرى غير أماكن اللهو من بينها محل العرس حيث اجتمع الرجال يسارقون النظر إلى النساء المطلات من النوافذ "وكل مغازل منهم يعتقد أنه امتاز على سواء وتغلب على أهل النوافذ بهواه، وأضرم نار العشق وجواه .....وما بالنوافذ سوى أزواجهم وبناتهم.... "[1]، ولقد ساهمت هذه الطريقة في تدهور القيم الأخلاقية في المجتمع الجديد، كما ساهمت في خلق تحول اجتماعي غير علاقة الرجل بالمرأة وخاصة في المدينة، وعلاقة أفراد الطبقة المستهلكة لثروات موروثة مثل أبناء الكبراء بالفئات الاجتماعية القادمة من الريف و التي وجدت في المغازلة طريقة من طرق التحرر المؤقت.

ثالثا: الجانب السياسي:

يصور لنا يوسف إدريس من خلال قصته"بيت من لحم" مظهرا من واقع المجتمع المصري والتي أملت عليه ظروف سياسية متداخلة متتابعة من الخديوي باشا إلى سيطرة القوى الأجنبية، هذه المشاهد و التطورات الحاصلة نلمسها من سيرورة أحداث القصة.

هذه القصة التي تجري أحداثها في بيت من لحم كما تناولها الكاتب على أنها حجرة ضيقة متكونة من أربع نساء، "أرملة وبناتها الثلاث[2]، وتوظيف بيت من لحم وليس بيت من طوب أو خشب وهو بيت ممتلئ باللحم الخالص، أو دلالة على لحم الأغنياء فهم يأكلون اللحم بكثرة أو إشارة على توزيع اللحم على الفقراء من قبل الأغنياء، ولعل بداية القصة أو وضعية البداية تعد بمثابة رابطا لخيوط تتشابك مع جميع العناصر الفنية للنص القصصي، من حيز مكاني وحيز زماني والأحداث والأبطال

[1]: البنية القصصية و مدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي ،المرجع السابق، ص 234.

[2] : قصة بيت من لحم، المرجع السابق، ص 3.

والقضية الرئيسة المرتبطة بموضوع القصة . وأهميتها تكمن في أنها مليئة بالإيحاءات التي تفسر جوانب كثيرة من النص .

وكأن البنات الثلاث، الكبرى والوسطى و الصغرى تمثل طبقات المجتمع المصري في زمن الكاتب يوسف إدريس.

رابعا : الجانب الاقتصادي:

نجد الأديب يوسف إدريس قد أشار في النص جانبا من مظاهر الواقع الاقتصادي للمجتمع المصري وهو ناتج لظروف سياسية، متداخلة نحو تحول سياسي نتج عنه تحول اقتصادي واجتماعي عميق قلب سلم القيم التي يقوم عليها المجتمع المصري ومن مظاهر هذا التحول الاقتصادي من خلال قصة بيت من لحم: أن انعدام المال يؤزم الأحداث : لقد كان فقدان المال سببا مباشرا في اضطراب وتدهور الحالة الاجتماعية وتأزم الأحداث في اتجاه مأساوي للأسرة، من خلال الوقوف على الحالة المزرية للأسرة المتكونة من الأم الأرملة وبناتها الثلاث التي عاداها الدهر، ضيق المسكن المتكون من حجرة ضيقة واحدة، ووفاة الأب بعد مرض طويل و ثلاث بنات في عز الزواج، من يوفر لهم المال لتأمين لهم العيش الرغيد، والملاحظ أن أسرة الأم الأرملة من الطبقة الفقيرة ذات الدخل الضعيف حيث أن عملها بالنهار كان في بيوت الأغنياء "وكان نهارها غسيل في بيوت الأغنياء[1].

توفر المال يحدث انفراج بعد زواج الأرملة بالشاب الأعمى يوحي بأن الظروف المادية والحالة الاجتماعية للأسرة قد تتحسن بنسبة قليلة في قول الكاتب: "وتزوجته...زاد عدد الأنفس واحدة وزاد الرزق قليلا، ونشأت مشكلة أكبر[2].

[1]: قصة قصيرة بيت من لحم، ص 8.

[2]: المرجع نفسه، ص6.

خامسا : الجانب النفسي في قصة" بيت من لحم":

يبدو من خلال قراءتنا المتأنية لقصة بيت من لحم للأديب يوسف إدريس أنه متأثر بالمنهج النفسي لان العلاقة تعد شديدة الاتصال بين الأدب وعلم الـــنفس، إن الأديـــب إنسان شفاف مشرق الروح والفكر تتميز أعصابه بحساسية دقيقة تكتشف الواقع بكـــل أبعاده ومعانيه، وتحسس الصعوبات التي تتجسد في حياة الآخرين، سواء أكانت فكريـــة أم اجتماعية أم فلسفية، وهو في الوقت نفسه يعشق الجمال والكمال المطلق بفطرته التي وهبها الله إياه، باعتبار أن الصراع قائم بين ما هو واقع و بين طموح الإنسان لبلـــوغ الكمال المطلق، فإن الأديب يرسم لنا صورة هذا الصراع، ونجد الكاتب يفترض الحلول المشرقة لصورة الواقع المشوهة، فصورة المرأة في الواقع أقل مكانة من صورتها في الأدب . وتدعونا دراسة نفسية الكاتب إلى الكشف عن القوانين النفســية التـــي تحكـــم الشخصيات التي يرسمها هؤلاء الكتاب في أعمالهم، ذلك أن الإنسان هو محـــور الأدب وكثيرا ما يعكس الكاتب دوافعه على لسان شخصياته، أو كثير ما تتـــدفع الشخصـــيات بالحديث المختبئ في عمق وجدان الكاتب، ذلك لأن الكاتب عضو في مجتمع يســـتمد منه أفكاره، وتؤثر فيه معطياته، "الشخصية هي التنظيم الذي يتميز بدرجة من الثبـــات والاستمرار لخلق الفرد ومزاجه وعقله وجسمه والذي يحدد توافقه المميز للبيئة التـــي تعيش فيها "[1]، فنجد يوسف إدريس في بنائه لشخصيات القصة أنه انتقل مـــن الواقـــع العادي إلى واقع المحلل، لأن الكاتب يـــوفر المـــادة الخصـــبة للمحلـــل النفســـي، لأن شخصيات أعماله يعتبرها حالم يقظة يحظى بقبول المجتمع، فالكاتب الروائي هنا يشبه الطفل الحالم الذي يحكي لنا الحكايات والقصص، فيختلط عالم الواقع بتخيل من عـــالم آماله وآلامه ومخاوفه، لقد وفق يوسف إدريس في إبداعه الأدبي في تقريـــب صـــورة الواقع إلى نفسية المتلقي من خلال الحركة الانسيابية لشخصيات القصـــة فالعمليـــات

[1]: الشيخ كامل محمد عوضيه، علم النفس بين الشخصية و الفكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان وسلســـلة علـــم النفس، الطبعة الأولى 1416هـــ - 1996، ص 8.

الواعية تكون واعية لفترة قصيرة ترتد بعدها إلى دائرة بين نوعين من اللاوعي الأول يمكن تحويله بسهولة وشروط إنسانية إلى وعي فرويد اللاوعي، وهو عالم محوط بالأسرار العميقة والآخر يستحيل تحويله إلى وعي بمعجزة كبيرة .

1. الحالة النفسية للزوجة الأرملة:

أ- الحالة النفسية بعد موت زوجها:

إن المرأة التي كانت تشارك زوجها هموم وآمال وآلام الأسرة وتتحمل معه عبء وشؤون البيت التي كانت تتطلع إلى مستقبل مزهر، وغد أفضل و يوم مشرق لهذا البيت، رغم الواقع الاجتماعي الصعب، من فقر مدقع ، وضيق المسكن، والمعاناة والمأساة والأوجاع، والجوع، هذا الزوج الذي كانت تعمل الزوجة من أجل تمريضه والسهر على راحته رغم المرض كان مستعصيا، فقد كانت صابرة محتسبة، لأن هذا قضاؤها وهذا قدرها هذا الزوج قد فارق الحياة بعد مرض طويل، فكيف تكون حياة هذه الأم الأرملة بعد موته، فقد تزوجت مبكرا، وترملت مبكرا، وقد ترك لها ثلاث بنات فيما تفكر؟ إطعامهن وكسوتهن، والتفكير في ضمان مستقبل يضمن لهن الحياة الممتلئة بالسعادة والأمل الباسم، أصبحت الآن تعاني الوحدة، تبدو المرأة هادئة صامتة، الهدوء الذي يسبق العاصفة لتنتفض وتعبر عن مكنوناتها و مكبوتاتها، الحزن زال، وبقى ما يدل على بعض مظاهر وصور الحزن لصمت، لكن الصمت قد يطول فصارت المرأة وكأن بها تبحث عن الذات، لأن البنات مقبلات على الزواج، والرجال لا يتقدمون ولا يقرعون باب البيت لطلب الزواج، ومن الرجل الذي يفكر في الزواج من هاته البنات القبيحات؟ والقبح المجتمع مع الفقر. "الصمت خيم مذ مات الرجل[1]. والرجل مات من عامين بعد مرض طويل، انتهى الحزن، وبقيت عادات الحزانى وأبرزها الصمت، صمت طويل لا يفرغ إذ كان في الحقيقة صمت انتظار، فالبنات

[1]: يوسف إدريس، قصة قصيرة بيت من لحم، ص4.

كبرن، والترقب طال، والعرسان لا يجيئون، ومن المجنون الذي يدق بـــاب الفقيـــرات القبيحات، وبالذات إذا كن يتامى؟[1].

إن الحالة النفسية التي تعيشها الأرملة من جراء الوحدة، الحزن، الترمل، الفقـــر سيمسها أيضا إحساسها بالأسى والحسرة يسبب تأثير خطير لا يمس الحالـــة الصـــحية فحسب، بل يكون بالمثل على الحالة النفسية، وترى جـــالتون و آخـــرون :"أن الحالـــة النفسية حين تتعرض الأرملة للمرض النفسي، فيتضح أن الشعور بالوحدة يزداد بـــين الأرامل سواء صغار السن أو كبار السن كذلك تنتشر مشاعر اليأس والاكتئاب بيـــنهن لما للشعور بالأسى والحزن من تأثير خطير، ليس على الحالة الصحية فقط بل يكـــون بالمثل على الحالة النفسية[2].

إن المرأة أو بالأحرى الأم الأرملة تعيش الوحدة القاتلة، الوحشـــة تفتقـــد إلـــى شخص من يشارك بقية حياتها، انفعالاتها وتفاعلاتها، مشاعرها وأحاسيسها، أفكارهـــا مشاريعها وتطلعاتها، تحتاج إلى من يكون لها سندا في مشـــوارها، باعتبارهـــا أنهـــا صغيرة السن، حيث أنها تزوجت مبكرا وترملت مبكرا، المرأة التي كتب لها القـــدر أن تركب قطار الحياة لوحدها لتوصله إلى بر الأمان.

لأنها أصبحت تتحمل المسؤولية لوحدها، تحمل صفات المربي الناجح الذي يجيـــد مهارة التواصل الإيجابي مع أبنائه على المستوى الفكري بـــالحوار وعلـــى المســـتوى العاطفي بالحب وعلى المستوى السلوكي باللعب والقصة، فالمربي الناجح هـــو الـــذي يجيد مهارة الإنصات الجيد لأبنائه، وكيفية إدارة الحوار معلم لحل مشكلاتهم وإشـــباع حاجاتهم، ومن صفات المربي الناجح أن يكون قدوة حسنة ونموذج أعلى لأبنائه يحتذى به في أقواله وأفعاله وأحواله، في ذلك أهمية الاتصال غير اللفظي بين الآباء والأبنـــاء

---

[1]: قصة بيت من لحم، ص 4.

[2]: عن رسالة مخطوطة، رهان الإسلام الأغا و التنبؤ بالسلوك الاجتماعي للنساء الأرامل في بعض التغيرات النفسية ، الجامعة الإسلامية، بغزة ، كلية التربية، قسم علم النفس، الإرشاد النفسي، 1432 هـ - 2011م، ص89.

ومدى تأثير الإيحاء في اكتساب الأبناء للسلوكيات الجيدة من الوالدين، وقالوا قديما "إن نعل رجل في ألف رجل أقوى من قول ألف رجل لرجل[1] وحديثا قالوا "صورة تغني عن مائة مقال" ولقد آتى عمرو بن عتبة بمعلم لابنه وقبل أن يعلم ابنه قال له: "ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عينه معقودة بعينك فالحسن عنده ما صنعت، والقبح عنده ما تركت[2]، وهو يعلم أن أبناءه سوف يتخذون معلمهم قدوة ولذا وجب على المربي أن يكون قدوة صالحة لابنه في الصدق الأمانة والعدل، وفعل الخير والعطاء والرحمة والصبر.

إن الأم الأرملة صار فكرها منصبا على مستقبل بناتها الثلاث أصبح شغلها الشاغل البحث من القوت، مصدر الاسترزاق، كسوتهن، إطعامهن، تأمين لهن أبسط ضروريات الحياة، والبنات كبر وهن في سن الزواج كغيرهن من بنات الأسر الأخرى اللواتي في أترابهن وأعمارهن من يحفلن بزوج يرفع عنهن الغبن، ويسعدهن صار الأمن اضطراب، والحركة سكونا، تساؤلات تطرح في ذهن هذه الأرملة، كيف يكون تصرفات الناس معها؟ ما هي التحديات التي تنتظرها؟ هل تحقق أهدافها التي تصبوا إليها ما تريد فعلا؟ أم أن تجد نفسها غير محظوظة في تحقيق أهداف حياتها؟ هل هي الشخص الذي تريد أن تكونه؟ أم أنها تجد أن التحديات أكبر منها؟ إن الإجابة على مثل هذه الأسئلة ستعطينا فكرة أن ما يحدث لها مهما كان فهو انعكاس من أفكارها واعتقاداتها الداخلية عنها، وعن الآخرين فإذا أرادت أن تحدث أي تغيير في علاقتها أو في حياتها يجب أن تنظر إلى داخلها وهناك ستجد الحل الذي تبحث عنه، وقد قال في هذا المقام المولى عز وجل:﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾[3] فسبحان الذي جعل

---

[1]: صالح عبد الكريم، فن تربية الأبناء ، كيف نربي أبناءنا تربية نفسية سليمة ، الدار العربية للإعلام، د ت ،د ط، ص 38.

[2]: المرجع نفسه، ص 38.

[3]: سورة الذاريات، آية 21.

لنا القوة على تغيير أنفسنا بإذنه وعلى التقدم والنمو بإذنه وعلى الوصول إلى القمة والعيش بسعادة تامة، فجعل لنا القدرة على الاختيار وعلى حرية القرار، فلك الحرية أن تختار اللوم، أو أن تختار التسامح، أن تختار كل لحظة في حياتك، وقد قال فاندي: "كن التغيير الذي تريد أن تراه في حياتك، فعندما تغير ما بداخلك سينعكس عليك العالم بنفس المقدار[1].

إن موت وفراق الزوج ترك فراغا رهيبا سيؤثر سلبا على الحياة النفسية للزوجة الأرملة "لأن الموت يعد أمر حتميا لكل واحد منا، وفقدان عزيز هو بمثابة أو بمنزلة فقدان جزء من كيان إنسان، فأهل الفقيد يشعرون أنهم بئسين لا حول ولا قوة لهم[2].

ومن الصعب جدا تخيل أن كثير من الأبناء يفقدون أحد الأبوين قبل بلوغ الخامسة عشر، والبالغون الذين تمكنوا من البقاء أحياء حتى بلغوا الستين من عمرهم من المحتمل أنهم فقدوا زوجا أو زوجين، وتشير سنا الخولي إلى: "أن الأدوار الجديدة في كل من الأرملة و الأرمل يبدوا أنها تختلف في جوانب عديدة ويبدو أن هذا يرفع في المحل الأول إلى اختلافات الجنس، ذلك لأنه ولأسباب عديدة، يكون الدور الجديد للأرملة أكثر صعوبة في مجال التوافق سيكولوجيا واجتماعيا، إذا قورن بالرجل الأرمل[3].

ومن بين هذه الأسباب :

- أن الزواج يكون عادة أكثر أهمية بالنسبة للمرأة (الزوجة)، ولهذا فانتهاء الزواج يعني انتهاء لدور حيوي بالنسبة للزوجة، إذا قورن بالدور المماثل للرجل إذا ظل على قيد الحياة.

---

[1]: إبراهيم الفقي، قوة التفكير، شركات الدكتور إبراهيم الفقي العالمية للتنمية البشرية، د ت، ص 132.

[2]: أحمد محمد مبارك الكندري، علم النفس الأسري، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الكويت، الطبعة الثانية، 1412 هـ – 1992م، ص 217 .

[3]: المرجع نفسه، ص 218.

- أن الأرملة لا تجد تشجيعا اجتماعيا على الزواج مرة ثانية، ولهذا تكون أكثر ميلا من الأرمل إلى عدم تكرار الزواج.

- إن مشكلات الأرملة متصلة بتحمل المسؤولية الاقتصادية لنفسها ولأطفالها سوف تواجه إمكانية معاودة النظر إلى مستوى المعيشة الذي سيتعرض بشكل أو بآخر للهبوط، وهذا موقف قد لا يتعرض له الأرمل.

- تواجه الأرملة في حياتها الاجتماعية قيودا أكثر مما يواجه الأرمل، ويرجع ذلك أساسا إلى أن المرأة بوجه عام أكثر ميلا للسلام اجتماعيا، وأكثر ميلا للاستسلام لظروفها الجديدة.

- إن الأرامل من النساء لا تكن أمامهن فرص مثل ما هو متاح أمام الأرامل من الرجال لتغيير المكانة من خلال الزواج، نظرا لما يكشف ذلك بالنسبة لهن من صعاب ومعوقات، وتظهر حدة هذه المشكلة خاصة إذا كانت الأرامل قد مات عنهن أزواجهن وهن في سن مبكرة[1].

وترى روكانتش: " أن الشعور بالوحدة النفسية هو شعور ناتج عن تجربة ذاتية يخبرها الفرد ذاتيا وبشكل منفرد، وهذا الشعور ناتج عن شدة الحساسية والفجوة وشعور المرء بأنه وحيد وبعيد عن الجميع، والشعور بأنه غير مرغوب فيه، ومنفصل من الآخرين ومقهور بالألم الشديد، وهذا الشعور ناتج غن الغياب المدرك للعلاقات الاجتماعية المشبعة، وهو شعور مصحوب بأعراض الضعف النفسي[2].

ب- الحالة النفسية للأرملة بعد زواجها من المقرئ الكفيف:

لقد كان الصمت هو البداية الذي خيم على البيت بعد أن توفي الزوج بعد صراع طويل مع المرض مخلفا وراءه ثلاث بنات في عمر الزهور، وفي سن الزواج

[1]: أحمد محمد مبارك الكندري ، علم النفس الأسري ،المرجع السابق، ص 218.

[2]: عن رسالة مخطوطة، رهان الإسلام الأغا و التنبأ بالسلوك الاجتماعي للنساء الأرامل في ضوء التغيرات النفسية ، ص89 - 90.

وزوجة شابة جميلة، تزوجت مبكرا وترملت مبكرا، وهي تنتظر زوجا كبناتها أيضا صمت انتظار وترقب، صمت وراءه بصيص أمل في الأفق هذا الصمت الذي كان أول اختراق له، ذلك الصوت الشجي الرتيب للشاب المقرئ الذي يمتهن ما يعمل، فتصير تلاوته أشبه بالصمت الذي يقطع الصمت " كأنها قطع الصمت ....بصمت داع هو كانتظار كالأمل ....أمل قيل لكنه دائم[1]، وتزوجت الأرملة المقرئ الكفيف وتغيرت حالتها النفسية بعدما كانت حزينة لفقدان زوجها فجأة، وتسلمت المسؤولية فأصبحت هي الأم والأب في آن واحد، وعند زواجها ظهرت علامات الفرح والراحة النفسية على وجهها في قول القاص: " قهقهات رجل تتخللها سخسخات امرأة.... أمهن لابد تضحك ..... ولا تزال تضحك وجهها ... هاهي عيونها تلمع[2]، فالزواج مرة ثانية للأرملة حق أساس أجازه لها الشرع بعد انتهاء العدة خاصة إذا كانت في مقتبل العمر، ويصبح الزوج سند لها ويقدم لها الحنان والعطف، وتكون غير مهمشة في المجتمع، وتعيش في استقرار دائم و تتغير والدوافع النفسية من امرأة إلى آخرة حسب احتياجاتها.

وقد فسر فرويد الدوافع على أساس الغريزة، " والغريزة عنده قوة تفرض وجودها وراء التوترات المتأصلة في حاجات الكائن العضو، أو حاجات الهو[3]، ومصدر الغريزة هو حالة من التوتر داخل الجسم وهدفها القضاء على هذا التوتر و موضوعها هو الأداة التي تحقق الإشباع أو توصل أليه، أن الرغبة الأم الأرملة في الزواج من شاب المقرئ الكفيف هو البحث عن رجل يؤمن لها العيش الرغيد.

لأسرتها وبناتها، رجل يحفظ عفتهن وكرامتهن، لكن المشكل الذي يؤرق الأم هو ضيق المسكن وزيادة نفس أخرى، ومن ناحية الجانب الاقتصادي فإن الواقع المرير

---

[1]: قصة بيت من لحم، ص 5.

[2]: المرجع نفسه، ص 7.

[3]: فهمي النجار، الحرب النفسية (أضواء إسلامية)، دار الفضيلة ، الرياض ، السعودية ، د ت ص ص25- 26.

الذي تحياه أو تعيشه المرأة هو الذي دفع بها إلى العمل "نهارها غسيل في بيوت الأغنياء[1]، لأن فكرها منصب على بناتها الثلاث تفكيرها في تلك البنات القبيحات الجائعات في عمر الزهور التي باتت الحيرة تغمر نفسيتها نظير السلوك المنطوي للبنات للتمتع الجنسي في فراش الزوجية، رفقة زوجها المقرئ الكفيف.

"وحزن الأرملة حزن معقد يرتبط بصورة واضحة بدور المرأة السلبي والتقليدي في الأسرة وتوقع اعتمادها على زوجها، فلهذا ليس غريبا أن نجد هذه المرأة غير قادرة على الاستمرار بعده بدون توجيه، هذا الاعتماد إلى طرف آخر في الأسرة، الذي غالبا ما يكون أحد الأبناء "[2] ومثال حي ما تعانيه المرأة الأرملة في المجتمع الفلسطيني جراء الاضطهاد الصهيوني،" وتعاني النساء والأرامل في المجتمع الفلسطيني من مشكلات جمة، نفسية واقتصادية واجتماعية، ألقت بظلالها على المجتمع وأفرزت الكثير من الأزمات و المشكلات تستوجب حلولا عملية ملموسة.

ومن بين هذه المشكلات ما يلي :

1. **المشكلات النفسية**: فالواقع المرير الذي تحياه النساء الأرامل جعلها تعاني من مشكلات نفسية في الشعور بالوحدة النفسية، نظرا لفقدانها شريك الحياة الذي كان يشكل لها الأمن والأمان فرحيل الزوج المفاجئ ولد لديها من اللحظة الأولى لرحيله، حالة من الارتباك في تدبير أمور حياتها والقلق من المستقبل بلا معيل، وقد تعيش الكثير من النساء الأرامل فترة حداد على زوجها قد تطول، مما يجعلها عرضة للعديد من الاضطرابات النفسية، وتعاني الأرملة - بحكم وضعها الجديد - نظرات الشفقة التي تطاردها من قبل الآخرين، مما يزيدها بالشعور من الحرمان والنقص وعدم الثقة

[1]: قصة بيت من لحم ، ص 8.

[2]: عن رسالة مخطوطة، رهان الإسلام الأغا و التنبأ بالسلوك الاجتماعي للنساء الأرامل في ضوء التغيرات النفسية، ص 94.

بالنفس، فيتولد لديها الشعور بالخوف والقلق من تلك النظرات، فينعكس ذلك بدوره سلبا على أسرتها.

2.**المشكلات الاقتصادية** : إن الأرملة بفقدها لزوجها تفقد المعيل لها ولأسرتها، وهذا يؤدي إلى أزمة اقتصادية تضطر فيها الأرملة بحكم ظروفها الراهنة. أن تبحث عن مصدر دخل لها و لأسرتها بعد أن أصبحت المعيل الجديد لأسرتها، فعندئذ تخرج للعمل، غير أنها في كثير من الأحيان لا تملك المؤهلات العلمية والمهارات المهنية للعمل، فتضطر للعمل بأجور متدنية، وظروف قد تكون صعبة في أغلب الأحيان، ومن الجدير ذكره أن مصر في تلك الفترة في وضع اقتصادي متدهور جدا وزاد تدهوره نفوذ الطبقة الحاكمة، وسيطرة السلطة الأجنبية، فأدى ذلك بدوره إلى تقليص فرص العمل وتدني الأجور، فانعكس سلبا على واقع الأرملة الاقتصادي، مما ألجأها إلى طرق أبواب كثير من المؤسسات الخيرية والحكومية، للحصول على ما يعيلها و يعيل أسرتها[1].

3.**المشكلات الاجتماعية**: مما يعيق استقرار المرأة الأرملة وأسرتها تدخلات المجتمع بشدة في تفاصيل حياتها هي وأسرتها، فالمجتمع لما يسوده من عادات وتقاليد اجتماعية، فرض نفسه وبقوة على حياة النساء الأرامل وأولادها، فهذه العادات إما أن تجبرها على الزواج السريع من شقيق زوجها المتوفى "أو أحد أقاربها،أو أنها تمنعها من الزواج الثاني،بحجة الحفاظ على المظهر الاجتماعي والإخلاص بذكرى زوجها بسبب المشاكل التي تتعرض لها أسرة الأرملة[2].

إن الحالة المادية تكون عنصرا متداخلا مع الحالة الصحية والنفسية لهذا الموقف الحياتي حيث تضع المشكلات الاقتصادية أو المادية في الغالب الأرملة في حالة من

---

[1]: عن رسالة مخطوطة، رهان الإسلام الأغا و التنبأ بالسلوك الاجتماعي للنساء الأرامل في ضوء التغيرات النفسية ، ص 94

[2]: المرجع نفسه، ص ص 95 -96.

الانزعاج والارتباك فالمرأة الأرملة تتأثر بصفة خاصة بفقد الزوج، حيث تعيش العديد من السيدات الأرامل على أقل مستويات من الدخل الضروري للحياة، "مما يضطرهن معه إلى النزول إلى العمل، وقد يكون هذا العمل منخفض للأجر بسبب قلة خبرتهن في مجاله .....! "[1]

- الجنس و القيم الإنسانية :

إن العديد من الأهل لا يريدون أن يعرفوا أي شيء حول سلوك أولادهم الجنسي والمراهقون ليسوا مشوقين لمشاركة أخبار حياتهم الخاصة مع أبائهم، وخاصة إن كانوا يعتقدون أن أبائهم سيعارضون هذا السلوك، روت أم تشارك في جمعية أهل : "عندما كنت فتية كنت أرغب بأن أكون بعيدة عن الخضوع لأحكام أهلي الأخلاقية، فهمت معنى ممارسة الحب بدون الشعور بالذنب، أو تأنيب الضمير، لكني لأريد أن أعلم عن ذلك، لا أريدها أن تستشيرني أو أن تشاركني أفكارها[2].إننا نجد بالحقيقة الآباء يندهشون بفكرة أن يكون أولادهم كائنات لها ميول جنسية، وهم يتجاهلون سلوك أولادهم الجنسي، أصدر فريق من الباحثين في مركز صحة المراهقين والتطوير التابع لجامعة مينسوتا تقريرا في شهر أيلول من عام 2000 م جاء فيه: "أن نصف أمهات أمريكا يظنون عن خطأ أن بناتهن مازلن عذروات" . ويقول الدكتور روبرت بلوم مدير المركز "بأن الدراسة لم تبحث عن السبب الذي يجعل الأمهات (وليس الآباء) لأن القليل منهم استجاب للدراسة[3]، غير عالمات بنشاط بناتهن الجنسي .

---

[1]: عن رسالة مخطوطة، رهان الإسلام الأغا و التنبأ بالسلوك الاجتماعي للنساء الأرامل في ضوء التغيرات النفسية، ص ص 90 -91

[2]: هايم جينو ،أليس جينو ووالس غودارد ، التربية المثالية للأبناء ، تر : مركز التعريب والترجمة و الدار العربية للإعلام ، د ت ،د ط ، ص 191

[3]: المرجع نفسه، ص 192.

يكون التواصل بين الآباء والأبناء فعالا خصوصا مع المراهقين فقط، في حدود الثقة وعلاقة الاهتمام عندما يشعر الفتيان بأنهم يستطيعون التواصل مع آبائهم، الذين سيستمعون لوجهات نظرهم ولن يصرخوا، أو ينتقدوا، أو يستبعدوا ما عليهم قوله عندما فقط سيقومون بمناقشة قلقهم حول الجنس.

- **الرعاية النفسية** :

ليست الماديات هي الأساس في إصلاح حالة اليتيم، ولكن هناك من الحاجات التي تعد أهم وأكثر تأثيرا في بناء شخصية اليتيم، وتعزيز صحته النفسية، على اعتبار أن الصحة النفسية للطفل وتوازنه العاطفي، لا يتوقف على تلبية حاجياته الفيزيولوجية فهي حاجات أولية و بدائية في سلم تحقيق الذات، وإنما للحاجات الأخرى أهمية كبرى حيث تتجسد هذه الحاجات بتوفير قدر من الطمأنينة النفسية التي تساعد على خلق حالة من التوافق مع المحيط الذي قسا عليه، يمثل الوالدان بالنسبة للبنات حياته ونموذجهن الأعلى، والمصدر الأول لإشباع حاجاتهن البيولوجية والنفسية والاجتماعية وعن طريق الوالدين ينشأن البنات، ويترعرعن، ويكتسبن أنماط السلوك الاجتماعي المقبول، وإذا ما غاب هذان الوالدان أو أحدهما عن حياتهن، فإن ذلك يؤدي بلا شك إلى تصدع في حياتهن و نموهن النفسي والاجتماعي السوي، ومن أجل وقاية البنات اليتيمات من مجموعة الاضطرابات النفسية التي قد تواجهن في مسيرتهن الحياتية.

2. الحالة النفسية للبنات الثلاث:

يتطلع لأهل في كل مكان نحو طرق لتعليم المسؤولية لأبنائهم، يتوقع الأهل في العديد من البيوت أن يوفر الروتين اليومي الحل لهذه المشكلة، ينظر إلى أعمال كثيرة للقيام بها في البيت، يضن أنها فعالة بجعل الأبناء الذين هم في طريق أو في طور النمو يشعرون بالمسؤولية، ولكن في واقع الأمر فإن مثل هذه التعرفات يمكن أن لا يكون لها تأثير فعال، بتكوين الشعور بالمسؤولية، وعلى النقيض من ذلك، فإن الأعمال

اليومية بالبيت تسبب معارك يومية ينتج عنها الكرب و الغضب لكل الأبناء للأهـل، إن الإصرار القاسي على تأدية الأعمال الروتينية، يمكن أن ينتج عنهـا الطاعـة وأدوار ايجابية أكثر، لكن لن يكون له تأثير مرغوب فيه بقولبة شخصية الطفل.

إن الحقيقة الواضحة هي أنه لا يمكن فرض المسؤولية بإمكان المسؤولية أن تتبع من الداخل وتتغذى وتوجه من قيم مستقاة من الأسرى والمجتمع، إن المسؤولية التي لا تبنى على قيم إيجابية قد تكون عدائية للمجتمع وهدامة، "في الوقت الذي نتمنى فيـه أن يكون أبناؤنا أشخاصا مسؤولين فإننا نريد أن تتبع مسؤوليتهم من قيم عليا، ومن بينهـا احترام الحياة، والاهتمام بالخير العام الإنساني والكلمات مألوفة الإحساس مع الآخـرين الالتزام، والاهتمام، ونحن لا نفكر بمعضلة المسؤولية بإطارها الأكبـر، نحـن ننظـر للمسؤولية أو انعدامها[1].

إن الواقع الاجتماعي المر الذي تعيشه جل الأسر المصرية فـي زمـن الكاتـب فرضه عاملان ؛عامل نفوذ الطبقة الحاكمة، وسيطرة الهيمنة الأجنبيـة للانجليـز، إن الأسرة التي تعيش في بيت مكون من حجرة ضيقة تسكنها ثـلاث بنـات وأم أرملـة تزوجت مبكرا وترملت مبكرا، إضافة إلى عامل غيـاب الـوازع الـديني، والجفـاء العاطفي، وغياب رجل يحافظ على القيم الايجابية بالبيت، بعد وفاة الأب بعد صـراع طويل مع المرض، إن زواج الأم الأرملة من الشاب المقرئ الكفيف هو الـذي غيـر سلوكات وطبائع وعادات وقيم هاته البنات الثلاث بعد اقتراحهن الزواج منه، والبنـات في سن الزواج و عمر الزهور وخاتم الزواج هو بداية هذا الانسلاخ والانحلال الخلقي والديني وهدم للقيم، تسرقه الابنة الوسطى لتقضي وطرها وبغيتهـا مـع زوج أمهـا وتعجب به البنت الكبرى وتأخذه كذلك الصغرى، الأم تعطيه إياهن طواعية، وتتنـاوب عليه الأم وبناتها الثلاث في النهاية، فمن تمتلكه تتمكن من التمتع باللـذة مـع الشـاب

[1]: التربية المثالية للأبناء، ص 89.

الأعمى فكأنما صارت زوجته بارتدائها الخاتم، وتصبح حـالتهن النفسـية جيـدة، إن ممارسة البنات الثلاث للجنس و معاشرتهن للحرام رفقة الشاب الأعمى زوج أمهـن لا نلمس شعور بالذنب أو تأنيب الضمير ولا حتى الأم، كان بإمكانها أن تفعل أي شـيء لكن هيهات إشباع من مجموعة الحياة النفسية و الاجتماعية، لينشأن بنات سويات.

ومن خلال وقوفنا على سيرورة أحداث القصة "بيت من لحم "، فانغماس البنـات الثلاث في الميل لنزواتهن ورغباتهن الجنسية في التمتع الجنسي هو مستمد من واقـع معيش، إن ظاهرة الارتباط الزوجي المتحولة التي شهد المجتمـع المصـري، والتـي تمثلت في ظاهرة العشق التي كانت من أكبر، "موانع التزاوج لدى الشرقيين"[1]، ورغـم ذلك فقد وجد المجتمع الجديد من جعلها علاقة بين الرجل و المرأة يمكن أن يؤدي إلى الزواج، وقد أدت إلى الزواج فعلا في محيط أفراد الطبقة المتفتحـة علـى الحضـارة الغربية، يسأل أحد الزائرين رفيقه النائب فيقـول : "هـل بلغـك خبـر زواج فـلان بمعشوقته"، إلا أن هذه الظاهرة لم تكن كثيرة الانتشار، فالقوى المحافظة مازالت تعمل على التخفيف من سرعة التحول من هذا المستوى وقد برز ذلـك بصـورة واضـحة وجلية في المسرحية التي شاهدها العمدة ورفيقاه في الملهى والتي عبرت عن صـراع بين قوتين متقابلتين : قوة التحرر و يمثلها الشاب وعشيقته، "يا حبيبة الفـؤاد وغايـة المراد، ما ألطف هذا الشكل فهيا بنا نغتنم الوصل[2].

وقوة محافظة مثلها والد الفتاة الذي كان حريصا على الفصل بين ابنته والشاب : فيدخل والدها عليه في تلك الحال، فيحول بينها وبين عشيقها، فينبري له الفتى بضـربة تلقيه أرضا صريعا، وقد كانت نتيجة الصراع الدرامي أن لجأ الشاب وعشـيقته إلـى الفرار خوفا من تهديد قوم الوالد، تعبر مراحل هذا الصراع عن رغبة القوة التحرريـة في القضاء على المحافظة، أي في تحطيم الحواجز التي من شأنها أن تمنـع التحـول

[1]: البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام ،ص 237.

[2]: المرجع نفسه، ص 238.

الاجتماعي من أن يأخذ شكلا تحرريا قارا، إلا أن قتل الوالد و فرار الشاب لا يدلان على تحقيق هذه الرغبة، بل لعلهما يثبتان أن التحول في مستوى العلاقات الجنسية أو طرق الارتباط الزوجي ظهرت بوادره في العصر الجديد، ولكنه لم يتغلب نهائيا على مظهر المحافظة، لذلك نعتبره تحولا محجوزا، إذ لم ينتبه إلى سيطرة إحدى القوانين المتقابلتين على الأخرى، ومما يدعم اعتبارنا هذا خاصة الطريقة التي حاول أحد الأطباء للعائلة، أحد أفراد الطبقة البورجوازية الصغيرة، أن ينظر إلى الحريم عند فحصه للباشا، يقول الراوي في وصف سلوكه: كان يرسل اللحظات .....تباعا نحو الباب ينظر مستواه كأنه يريد أن يستكشف ما وراء الحجاب من آنسة في الخدر أو كعاب، " فالطبيب يبرز بهذا السلوك تحولا في مستوى تصور العلاقة بين الرجل والمرأة و يبرز في نفس الوقت مانعا اجتماعيا يحجز هذا التحول عن التحقيق في المستوى الواقعي[1] وهكذا يبدو أن الشبان المتبنيين لجانب من الثقافة الغربية ساهموا في إبراز هذا "النوع من التحول أي أن العامل الداخلي الذي سبق أن حللناه فيما مضى كان سببا مباشرا في تغيير العلاقات بين الرجل والمرأة داخل المجتمع المصري الجديد وفي وضعه في اتجاه غربي يعمل على تدهور العلاقة المحلية الأصيلة التي تقضي بعدم الاختلاط بين الرجل والمرأة إلا إن هذا العنصر المحلي لم يقف من الأهالي نفس الموقف الذي من الأجانب، ففي حين كان موقفه الأول قائما على الرغبة في التغيير ظل هو الثاني مبنيا عل التقاليد لمن ينتمي إلى الحضارة الغربية[2].

"إن غياب اللامسؤولية و اللاوعي، عدم الشعور بالذنب أو تأنيب الذات هي التي دفعت بالبنات الثلاث إلى تلبية حاجياتهن الجنسية والدوافع الغريزية في إشباع نزواتهن لقد قسم وادلريونغ مجالا للواقع الجنسي في اللاوعي الإنساني، وهذا ما أخذ عليه وقد

[1]: البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام، ص 238.

[2]: المرجع نفسه، ص ص 239-240.

رفض ذلك تلميذه فرويد وقد أفسح المناطق النفسية إلى منطقة "الهو" وهي مركز الثقل في حياتنا النفسية، خزان الدافع الجنسي و منبع الطاقات الحيوية، فيما يحكم هذه المنطقة مبدأ اللذة إشباع الغريزة، وهذه المنطقة تعادي وتكره المنطق، ولا تعرف القيم الاجتماعية ولا الضوابط الأخلاقية، تنطوي على دوافع متناقضة يمكن لها أن تتجاوز دون مشكلة غايتها في إرضاء الغرائز، وهي مدمرة في نهاية المطاف ولا تهتم بسلامة الذات والآخرين والرقيب عليها، تنظم الدوافع على نحو يسمح به الواقع ويرضى به المجتمع حيث "الهو" تعتبر النظم الأول لطاعات الـــ "أنا" و منطقة "الهو" التي تجنب الذات النهاية المدمرة، فما يسمح به الواقع يلبى، وما لا يسمح به يدفع إلى أعماق الـــ "هو" ، وإذا كان عسيرا على ذلك تحول إلى دور الوسيط "أنا" عقد، ويعتبر الجزء الكبير من المنطقة الـ "أنا"، غير واع، ويسمى الجزء الواعي منه "العقل الإبداعي"،ويسند على الـــ "هي" "الأنا الأعلى" بين اللاوعي والعالم الخارجي وبين الرغبات غير المحدودة التي تقرها الظروف والشروط الواقعية "[1]. "إن الدور الاجتماعي المميز للجنس قوي جدا، لدرجة أن البعض يظنه راجعا إلى الطبيعة البيولوجية للذكر والأنثى، لكننا إذا دققنا النظر، نجد أنا الكثير من خصائص الدور الاجتماعي المميز للجنس، يرجع ذلك إلى تأثير الحضارة التي يولد فيها الفرد[2].

ويقول الدكتور كامل محمد عويضة كذلك : "بالإضافة إلى المستوى الشعوري للعملية العقلية يوجد اللاشعور (الآثار العقلية للخبرات الماضية التي كانت يوما ما على المستوى الشعوري)، تؤثر تلك الآثار اللاشعورية على سلوكنا دون أن تكون على

[1]: علم النفس بين الشخصية و الفكر، ص 54.

[2]: المرجع نفسه، ص 54.

وعي بها وقد اعتبر فرويد أن الشعور ما هو إلا مخزن غير السارة المكتوبة "[1]

- التجربة السيكولوجية لكتاب مطالعات في علم النفس:

- الأطفال المحرومون : تجربة مرشام دراسة اجتماعية إكلينيكية :

يشغل موضوع الارتقاء الاجتماعي للطفل أذهان الكثير من الباحثين في هذه الأيام "وهم يتناولونه من عدة زوايا، كل بحسب اهتمامه، ويمكن القول بأنا هذه الزوايا جميعا تتلخص في محاولتين.

أحداهما : دراسة عملية الارتقاء في أشكالها وفي ظروفها السوية، وقد أفرد بعض الباحثين لهذه الدراسة بحوثا قائمة بذاتها ومن هذا القبيل ما فعلته شارلوت بوهلر وسوزان أيزاكس وأوردها البعض الآخر ضمن دراسات عامة في علم النفس الاجتماعي، وهذا ما فعله مورفي و مظفر شريف ونيوكوم وتشايلد.

والثانية : دراسة عملية الارتقاء في ظروف غير سوية ومن هذه الظروف غير السوية التي نالت أكبر قسط من الاهتمام لدى الباحثين ظروف "البيت المهدم " و العلاقات الشاذة بالأبوين .

- والتجربة التي نقدمها هنا، وهو"الأطفال المحرومون"، من هذه المجموعة الثانية من الدراسات التي تتناول الطفولة عندما تحيط بها ظروف اجتماعية غير سوية، تحرمها من الاستقرار العائلي، ومن الدفء العاطفي في رعاية أم وأب حانيين وتعرضها للمعاملة القاسية والصحبة السيئة.

وقد تحدثت الباحثة الدكتورة هيلدا لويس عن الظروف التي أحاطت بإنشاء المركز وموقعه وسعته والمهم أنه يتسع لخمسة وعشرين طفلا فقط، وهذا مما يجعل في إمكان الهيئة المشرفة عليه القيام بواجبها على نحو دقيق، وتتألف هذه الهيئة من

[1]: علم النفس بين الشخصية و الفكر، ص 19.

طبيب عقلي وعدد من الأخصائيين السيكولوجيين وأخصائي اجتماعي من ذوي الدراية بالطب العقلي، و مشرفة ومساعدة لها، وملاحظة و مساعدة لها واثنين من المدرسين ومجموعة من الخدم - وتقيم هذه الهيئة- عدا الطبيب العقلي والأخصائيين السيكولوجيين إقامة دائمة بالمركز. ويلاحظ أن المركز يعمل دائما بالتعاون مع جميع المؤسسات العامة المعنية بالأطفال في المقاطعة .

ويقضي الأطفال في المركز مدة الثلاثة أو الأربعة أسابيع تحت ملاحظة مستمرة، وتوضع عنهم تقارير يومية مفصلة تهتم بوجه خاص بذكر أحوالهم في النوم، والأكل والعادات اليومية واللعب[1].

والدراسة، والاستجابات الاجتماعية والوجدانية . وعندما يبدو على الطفل بعض الاستقرار والطمأنينة يجرى عليه عدد من الاختيارات السيكولوجية، أهمها : ستاتفورد يبينه المعدل، ومعايير جيزل للارتقاء، واختبار رسم الرجل من وضع جودنف واختبار التحصيل التربوي (القراءة والحساب) من موضع برت، وهنا تسجل اتجاهات الطفل نحو الاختبارات، كما تسجل الاستجابات الصادرة عنه عندما يواجه بعض الصعوبات ويتولى الطبيب العقلي (وهو في هذا الحالة الدكتورة هيلدا لويس) فحص كل طفل لتحديد سمات شخصيته، ويستمع إلى قصته ليتبين ما وراءها من سمات عصابية أو أعراض انحرافات نفسية .

وبعد هذا كله "يتيح الطبيب للطفل كل فرصة للتحدث بحرية عن المعضلات التي تواجهه في البيت والمدرسة وحيثما كان، ليتبين من وراء ذلك حقيقة اتجاهه نحو والديه ونحو أية ترتيبات يوصى بها المركز فيما بعد، ويستعين الطبيب على انجاز مهمته هذه بعدة وسائل أهمها المحادثة : والرسم واللعب متخيرا من هذه الوسائل أنسبها

[1]: مصطفى سويف، مطالعات في علم النفس، ص ص 65-68.

لحالة الطفل الذي يواجهه، كذلك يفحص الطفل للتأكد من سلامة صحته البدنيـــة، وقـــد يضطر المركز في سبيل ذلك إلى التعاون مع إحدى المستشفيات المجاورة.

وعلى ضوء هذه البيانات جميعا تعقد هيئة المركز برئاسة الطبيب العقلي جلسات من حين لآخر للمناقشة وتبادل الرأي فيما عسى أن يقوم بيه المركـــز مـــن إجـــراءات وتوجيهات بخصوص مستقبل الأطفال المقيمين به. ونظرا للصعوبات العملية التـــي لا حصر لها والتي لا يستطيع المركز أن يتغلب على معظمها، فقد اعتاد المركز أن يضع توصياته في صورتين: الأولى توضح ما ينبغي اتخاذه نحو الطفل من إجـــراءات ومـــا ينبغي توفيره من شروط تمليها الاعتبارات العلمية الخالصة.

والثانية تفرز الحد الأدنى من هذه الإجراءات التي يمكن الاكتفاء بها إزاء الضـــرورات العملية "[1]

- وتأتي مرحلة أخرى تعرض فيها :"الباحثة حقائق مفصلة عـــن هـــؤلاء الأطفـــال الخمسمائة .ما هي السلطة الإدارية التي حولتهم إلـــى المركـــز، الأســـباب المباشـــرة لتحويلهم، وعدد الذكور والإناث فيهم وتوزيع الأعمار بينهم، ثم تعرض بيانـــات أكثـــر تفصيلا عن بيئاتهم العائلية من حيث :

أ- الطبقة الاجتماعية:محددة حسب مهنة الأب .

ب-حجم الأسرة : أي عدد الأطفال فيها .

ج- دخل الأسرة : ويشمل دخل الأب و أي شخص آخر يقوم بالإنفاق على الأسرة في شؤون معاشها اليومي .

د- الاستقرار في العمل العائل: هل هو مستقر فعلا أم يعمل أحيانا ويتعطل أحيانا

هـــ- أحوال المعيشة : وقد صنفها الباحثة في ثلاث درجات ؛لائقة ومتوســـطة وغيـــر لائقة وحددت مضمون كل من هذه الدرجات بدقة لابأس بها "[2].

---

[1]: مصطفى سويف، مطالعات في علم النفس، ص 68.

[2]: المرجع نفسه ، ص 69

- ثم انتقلت إلى حديث أكثر تفصيلا عن الوالدين، "وأوردت بعد ذلك التاريخ الشخصي للأطفال

وقد أوردت جميع هذه البيانات في جداول إحصائية تثير القارئ لاكتشاف كثير من العلاقات التي من شأنها أن تثري نظرتنا في بحوث أخرى سيكولوجية واجتماعية.

- وتحدثت كذلك عن الأنماط السلوكية الشائعة لدى الأطفال، وعن شخصياتهم وما يتميز به من سمات واتجاهات اجتماعية، وتبدي في هذا الصدد بعض الملاحظات القيمة. من ذلك ما لاحظته من أن معظم الأطفال كانوا يحصلون على نتائج طيبة إذا ما اختبروا باختبارات غير لفظية بعكس الحال إذا ما استعملت معهم الاختبارات اللفظية.

ومن ذلك أيضا ما لاحظته من ثلاثة أرباع الأطفال ذوي الأجسام المريضة كانوا كذلك في حالة نفسية سيئة إلا أن أهم ملاحظاتها و تعليقاتها في هذا الفصل ما أوردته ذا صبغة منهجية. من هذا القبيل حديثها عن"الملاحظة المباشرة والحذر الواجب عند استخدامها. فقد لاحظت أن الكثير من الأطفال الواردين على المركز كان يبدو على مظهرهم وسلوكهم أنهم أغبياء أو على حدود الضعف العقلي. ولكن باستخدام مقاييس الذكاء تبين أن متوسطو الذكاء . وإنما يرجع هذا المظهر الخادع إلى العوامل الانفعالية المحيطة بمقدمهم[1].

- يمعن الباحثون في "تحليل ظواهر السلوك التي يديرون تصنيفها و ذلك لمعرفة مكوناتها الأساسية وما بينها من علاقات . ومن هذا القبيل المحاولة التي قام بها هويت وجنكنز فقد توليا فحص تقارير عن 500 طفل وردوا على معهد "توجيه الطفولة في متشيجان"، وبعد تحليل هذه التقارير استخدما الوسائل الإحصائية المناسبة للكشف عما إذا كان هناك ارتباط بين بعض السمات أو بعض مظاهر النشاط المنحرف بحيث تكون كل مجموعة صنفا متميزا، فتبين لهما وجود ثلاثة أصناف من السلوك المنحرف وهي:

[1]: مصطفى سويف، مطالعات في علم النفس، ص 80.

السلوك العدواني غير الاجتماعي، السلوك الجانح الاجتماعي و السلوك العصابى المبالغ في قمعه .ولكن عند تطبيق هذا التصنيف عجز الباحثان عن أن يجدا طفلا واحد تندرج جميع مظاهر سلوكه داخل صنف واحد. ومن ثم فقد لجأ الباحثان إلى معيار أقل صرامة، فكانا يدرجان أي طفل في صنف ما إذا توفر في سلوكه ثلاثة مظاهر على الأقل من تلك التي تدخل في مضمون هذا الصنف[1]. ومع ذلك فلم يمكنهما سوى تصنيف 40 % من الخمسمائة طفل في الأصناف الثلاثة المذكورة .

- وتحدثت "الباحثة عن الصلة بين الأسرة ة البيئة الاجتماعية بوجه عام وبين سلوك الطفل ومن الجدير بالذكر أن نسبة ضئيلة جدا من الأطفال الواردين على المركز ينتمون إلى بيئة اجتماعية طيبة .

- وعملت على توضيحها للأسباب الداعية إلى ظهور أنماط السلوك المنحرف، فليس ثمة سمة واحدة في البيئة الأسرية، مهما بدت تلك السيرة خطيرة الشأن، يمكن القول بأنها سبب ظهور هذا النمط أو ذلك من الأنماط الثلاث الرئيسة للسلوك المنحرف ولكن السبب دائما موقف ملح تتوافر فيه عدة عناصر . وهناك تصنيف الباحثة الأنماط الرئيسة لسلوك الأسرة نحو الطفل من حيث أنها مسببة لظهور أنماط السلوك المنحرف لديه على النحو التالي:[2]

- الرفض الأبوي : من شأنه أن يسبب السلوك العدواني غير الاجتماعي.
- الإهمال والصحبة السيئة: من شأنه أن يسبب السلوك الجانح الاجتماعي.
- التزمت : من شأنه أن يسبب السلوك العصابى المبالغ في قمعه.

و يلاحظ أن الباحثة تحقق بذلك رأي لفين الذي يقرر أنه لكي تكون المفاهيم العملية ذات قيمة تنبؤية ينبغي أن نشير إلى أنماط محددة لمواقف معينة . وفعلا نلاحظ أن

---

[1]: مصطفى سويف، مطالعات في علم النفس، ص 82.

[2]: المرجع نفسه، ص 84.

أنماط المواقف الأسرية بالصورة التي تقدمها لنا تمكننا إلى حد ما من التنبؤ بالطابع العام لانحرافات الطفل في المستقبل.

- وتقدم لنا الباحثة "بعد ذلك تحقيقا علميا دقيقا لقيمة التوصيات التي صدرت عن المركز، وذلك بتتبع الأطفال ودراسة أحوالهم بعد فترة تتراوح بين سنتين وثلاث سنوات من عرضهم على المركز: هل نفذت توصيات المركز فعلا أم لم تنفذ، وفي حالة تنفيذها هل أفادت الأطفال، أم لم تفدهم، فائدة تذكر أم أضرت بهم، وتروى لنا الباحثة في هذا العدد قصة الصعوبات العملية العديدة التي تصادف الباحث في مثل هذه الخطوة التي هي ضرورية وبمثابة الاختبار التجريبي للقيمة العلمية للمشروع. وقد استطاعت الباحثة أن تتبع طريقتين في هذا الاختبار:

الأولى هي زيارة بعض الأطفال في بيئاتهم وفحصهم مباشرة والثانية هي جمع المعلومات عن البعض الآخر بواسطة المكاتبات البريدية مع بعض السلطات المختصة.وقد أمكن إتباع الطريق الأولى مع 100 طفل. كما أمكن إتباع الطريقة الثانية مع 240 طفلا يشملون المائة الأولى. وتبين أن هناك اتفاقا تاما بين نتائج الطريقتين في 23 حالة من المائة طفل الأوائل. كذلك تين أن 23 % من مجموع الـ 240 طفلا قد تحسنت أحوالهم السيكولوجية بدرجات متفاوتة بينما بقى 29% على حالهم و ساءت حال 08 % وتلك نتيجة مشجعة بوجه عام لاسيما إذا أدخلنا في اعتبارنا أن بعض توصيات المركز لم تنفذ، وأن الأطفال الذين وضعوا في الأماكن التي أوصى بها المركز تحسنت أحولهم بصورة أوضح وأفضل مما تحقق للأطفال الذين حالت ظروفهم دون توجيههم حسب توصيات المركز . كذلك توصلت الباحثة في هذا التحقيق إلى عدة حقائق هامة لا سبيل إلى إغفالها فيما يتعلق بالصحة النفسية للأطفال[1].

[1]: مصطفى سويف، مطالعات في علم النفس، ص 88.

3. الحالة النفسية للمقرئ الكفيف :

إذ تعد حاسة البصر من أهم حواس الإنسان، التي تعطي للإنسان فرصة الاتصال بالبيئة وبحال فقدانها يعتمد الكفيف على تنمية الحواس الأخرى مثل: السمع واللمس "فحاسة السمع لا تتيح للكفيف الإثارة الحسية من الأشياء إلا حين يصدر عنها صوت أما اللمس فهي تمدنا بخبرة حسية عن الأشياء الصغيرة والتي تكون في متناول اليد والتعرف على خصائصها، ونقصد بالخبرة اليومية هي المتعلقة بالصورة واللون والشكل، التي تحرم الكفيف من تكوين الصورة الذهنية عن الأشياء وخزنها واستدعائها عند الحاجة "[1]، مع أن الشرع الديني يجوز له الزواج و تكوين أسرة في حين المجتمع يرتاب أن عدم قدرة الكفيف على تربية أبنائه فهم لديهم مشاعر وأحاسيس وغرائز جنسية .

يبدو أن للقاص يوسف إدريس له الدراية الكافية لما دار بالتراجيديا الإغريقية الكلاسيكية للمسرحية الملك لير التي كتبها ويليام شكسبير، حيث تتحدث القصة عن ملك في بريطانيا وقرر أن يتنازل لبناته الثلاثة بعد أن كبر بالسن وأراد أن يستريح، وكانت الحادثة أن يتم الصراع بين البنات لاغتصاب والفوز بالملك، وكذلك له القراءة الواسعة لأسطورة أوديب ملكا، حيث أن إنقاذ الطفل من الموت راع ومن مدينة أخرى ويحمله إلى ملك وملكته اللذين لم ينجبا أطفالا فيتخذاه ولدا وكان هذا الملك هو بوليب ملك كورنثة وقد أطلق على الطفل أوديب الذي تخبره الآلهة بأنه سيجلب النحس لمدينته فيكتشف أوديب بعد تحقيق لم يطل أنه هو قاتل الملك و أنه تزوج أمه وأن أبناؤه هم إخوته لأمه فاقتص من نفسه وفقأ عينيه بيديه ونفى نفسه خارج البلاد أما جوكاستا فقد قتلت نفسها شنقا ولدى القصتين بعدين الاجتماعي والنفسي ؛ في الأول كان في عمر الشباب أما الثاني النفسي، فهو يمتلك الذكاء والنبل ويؤمن بالتنبؤ الروحي، بالتقرب من

[1]: القريوتي يوسف وآخرين، المدخل إلى التربية الخاصة، دار القلم دبي، 2008، ص 182.

القصة بيت من لحم وهي تبدو قرين قيما ذكرنا من الأدب العالمي وإن كان لإدريس اقترابه من الشخصية الاجتماعية الريفية المصرية في محاولة منه اختيار شخصيات غريبة من المجتمع وغير فاعلين بشكل مباشر مثل الكفيف، وربما تأثر القاص بشخصية طه حسين الكفيف ودعوته إلى نهضة أدبية جديدة من خلال الأسلوب السهل والواضح باستخدام اللغة و قواعدها .

خامسا: العلاقة بين أسطورة أوديب و القصة القصيرة بيت من لحم

يعد يوسف إدريس أحد كبار أدباء العرب في فن القصة القصيرة، حيث عمل طبيبا نفسانيا في المستشفى المصري قبل الإبداع الأدبي[1]، وكمؤلف المسرحية وكاتب القصة القصيرة، ولعل رسوبات ونظريات و أسطورات التحليل النفسي ظهرت في أعماله الأدبية بحكم الحفريات الموروثة عنده وقد تجلت في آخر قصتنا القصيرة في شخصية الأعمى .

ولما قمنا بالتمعن فيها وجاءت هذه الخاتمة غامضة تطرح عدة تساؤلات، فسياق الخاتمة يوحي إلى تأويلات كثيرة، ولعل أقربها تجسيد عقدة أوديب في القصة لما تحمل من شرارات و إشارات دالة عليها .

وشخصية الأعمى في القصة تشبه شخصية أوديب لسوفوكليس[2]، في كثير من تصرفاته سنقف عندها بعد تقديم ملخص وجيز للأسطورة اليونانية .

أولا :ملخص أسطورة أوديب لسوفوكليس :

كان لايوس بن لبدكوس ملكا على مدينة ثيبة "طيبة"، فأنذره وحي الآلهة بأنه سيقتل بيد ابن يولد له. وما هي إلا أن ولد له صبي فأمر الملك بطرحه في العراء على جبل يقال له "كيتيرون" ولكن الراعي الذي أمر بذلك أشفق على الصبي فأسلمه إلى

[1]: عد إلى الفصل الأول من هذه المذكرة ، ص 06.

[2]: كوليت استيه ، أسطورة أوديب، تر ، زياد العودة ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة دمشق 2012 ، الطبعة الثانية 2012، ص 19.

رعاة بوليبوس ملك مدينة كورنتوس . وهؤلاء أسلموه إلى مولاهم فرباه وقام دونه حتى شب . ثم أخذ الفتى يسمع تعريضا بمولده فخرج يستشير الآلهة، فأوحوا إليه أنه إن عاد إلى وطنه فسيقتل أباه وسيتزوج أمه [1]، فعدل الفتى عن مدينة كورنتوس.

وقصد إلى مدينة ثيبة "طيبة" والتقى في طريقه إليها برجل شيخ في بعض حرسه فكان بينهم وبين الشيخ شجار، فعدا الفتى على الشيخ فقتله . ومضى في طريقه حتى وصل إلى مدينة ثيبة "طيبة" وإذا حيوان غريب مهلك قد قام على صخرة قريبة من المدينة يلقي على كل من مر به لغزا فإن لم يحله عدا عليه الحيوان فافترسه [2].

وكان أهل ثيبة "طيبة" قد عرفوا موت ملكهم الشيخ في طريقه، ولم يعرفوا قاتله وكان الهلع قد ملأ قلوبهم لمكان هذا الحيوان من مدينتهم وسوء أثره فيهم، فأعلن كريون الوصي على الملك في المدينة إن أي الناس استطاع أن يخلص المدينة من هذا البلاء فله عرشها وله أن يتزوج الملكة، فلما أقبل الفتى ألقى عليه الحيوان لغزه وخر الحيوان صريعا، وآل ملك ثيبة "طيبة" إلى هذا الفتى أويديبوس وتزوج الملكة وولد له منها أبناء. ثم ظهر وباء في المدينة و اشتد خطره على أهله، فأرسل الملك يستشير الآلهة، فأوحى الآلهة أن هذا الوباء لن يرفع عن المدينة حتى يعاقب قاتل الملك، على جريمته . وأعلن أويديبوس في الناس أن قاتل الملك عدو الشعب، فلا ينبغي إيواؤه ولا التستر عليه، ثم استكشف أنه هو قاتل الملك، وأنه قد تزوج أمه أن أبناءه هم في الوقت نفسه إخوته لأمه، فاقتص من نفسه و فقأ عينييه بيده ونفى نفسه من المدينة، وقتلت أمه نفسها خنقا .

---

[1]: شوقي عبد الأمير، أوديب سوفوكليس ، تر ، طه حسين ، منظمة اليونسكو عام 1996 ، عدد 143 – الأربعاء 7 تموز (يوليو)2010، ص، 6.

[2]: المرجع نفسه ، ص 6.

وهذه القصة التي سنترجمها تصور الجزء الأخير من هذا الحديث فتعرض إلمــام الوباء بالمدينة وأمر الآلهة بعقاب القاتل واستكشاف الملك أنه هو القاتل واقتصاصه من نفسه.

ثانيا: توظيفها في قصة بيت من لحم :

أراد توظيف أوديب الشاب في الأسطورة في قصته "بيت مــن لحــم". وربطهــا بشخصية الأعمى الكفيف المقرئ، لذلك نجد خيوطــا كثيــرة مشــتركة بــين القصــة والأسطورة .

فقد عمد الكاتب يوسف إدريس إلى تجسيد صورة المقرئ الكفيف التي تعبر عــن الضمير الحي للرؤية السائدة لسيرورة واقع المجتمع المصري، وهو تصور يهدف إلى تذمره من الواقع المرير للمجتمع المصري من جهة وعدم تقبله لفقر المصــريين مــن جهة ثانية .

ويتجلى ذلك في صورة الأعمى الذي يمثل الأمل المنشود لذلك الظلام والصــمت، اللذين خيما على البيت، ذلك الأب الروحي الذي يأخذ بزمام الأمور في تولي شــؤون البيت، والذي يمضي بأفراد الأسرة قدما نحو مستقبل مشرق.

نجد هذا التبعثر في العناصر في تقديم صورة المرارة لواقع المجتمع المصــري الذي ينظر إلى المرأة بصورة سوداء في تصوير مؤسف من خلال تشــويه و تقبــيح لصورة المرأة، فاجتماع الثالوث الاجتماعي الخطير من فقر مدقع ، وجهل، إضافة إلى تذمر النوع الإنساني من تعاسة المرأة التي تكمن في عنوستها قال تعالى :﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾[1]، فيزيد الألم ألما أخر، هــذه الصــورة التي جسدها الشاب الكفيف، هي خليط من تركيبة شريحة المجتمع المصري الذي أنهكه الواقع الاجتماعي .

[1]: سورة النحل، الآية 58 .

ومن خلال قراءتنا المتأنية لأحداث "عقدة أوديب " في الأسطورة والمقرئ الكفيف في قصة "بيت من لحم"، نجد أن القاص يوسف إدريس يجعل المقرئ الكفيف يجسد دور أوديب الذي تزوج بأمه "ويتزوج أوديب إذن جوكاستا، و يتسنم الملك بناءا على ذلك غير أن الملكة هي أمه، ولابد أوديب أن يكشف لاحقا أنه قد جعل من نفسه مذنبا بأسوأ الجرائم[1] صار المقرئ الكفيف زوجا للأرملة التي لها ثلاث بنات، المرأة الطويلة، وقد اقترحن بناتها الثلاثة الزواج بالشاب المقرئ، ويقول القاص يوسف إدريس في ذلك "وتزوجته ....زاد عدد لأنفس واحد، وزاد الرزق قليلا، ونشأة مشكلة أكبر[2] وهنا يتسلم الأعمى المقرئ مقاليد الحكم والإمرة والسلطة في إدارة شؤون البيت، ومن ذلك إدارة شؤون الرعية في قصة أوديب في الأسطورة.

وفي المقابل نجد أوديب الشاب قد تزوج بأمه وأنجب بنتا . دون معرفته وإدراكه لذلك، ولما علم بالخبر، لم يتقبل الحياة والواقع الذي آل إليهما، أبدى سخطه وتذمره من الواقع الجديد، ففقع عينييه وترك مملكته وتاه في الصحراء.

وهنا تكمن العلاقة في عدم تقبل الشخصيين للواقع.

---

[1]: أسطورة أويب، ص 24.

[2]: قصة بيت من لحم ، ص 6.

خاتمة

خاتمة

- قدم لنا القاص يوسف إدريس الأم الأرملة كشخصية رئيسية في هذه القصة لتمثل ما أراد التعبير عنه من أحاسيس وآلام ومعاناة بداخل النساء الأرامل عامة.

وقدم شخصية أخرى ومهمة ألا وهي المقرئ الكفيف الذي يمثل الشعب الكفيف عن مقدرات حقوقه وهو عاجز من إرجاع حقوقه ويساوي العالم السفلي عند يوسف إدريس، والقاص يحاول أن يقول أن للكفيف مشاعر وأحاسيس يمكنه أن يظهر مرة أخرى، وينتفض لاستلاب حقوقه كما فعلها طه حسين والملك لير، وكذلك أوديب أن يقرر ما يريد، وهي رسالة غير مباشرة إلى الحكومة وحوار لتوعية الشعب.

- أما عن صورة المجتمع المصري من خلال القصة القصيرة قد تمثلت في خمسة جوانب:

1- الجانب الاجتماعي الذي استطاع من خلاله القاص تصوير المجتمع المصري تصويرا دقيقا، بتناوله لموضوع الفقر وما ينشأ عنه من معاناة، واليتم وما ينتج عنه من آثار نفسية.

2- الجانب الاقتصادي الذي استطعنا بواسطته معرفة الظروف الاقتصادية التي تعيشها الأسرة الفقيرة التي تتكون من الأم الأرملة وبناتها الثلاث.

3- الجانب السياسي الذي ميزنا من خلاله ثلاث طبقات اجتماعية كونت المجتمع المصري

- الطبقة الحاكمة: التي تمثلت في الأغنياء ورجال السلطة.
- الطبقة المتوسطة: التي تمثلت في متوسطي الدخل.
- الطبقة الفقيرة: التي تمثلت في الفقراء والمعوزين.

4- الجانب الديني: تمثل القصة أخلاق المجتمع المصري وأخلاق تعاكسها.

5- الجانب النفسي: تحدثنا عن الحالة النفسية للأرملة بعد موت زوجها وبعد زواجها حيث كانت تعيش في آلام وحزن، وبعد زواجها تغيرت حالتها النفسية للأحسن.

- كما خلصت الخاتمة إلى الحالة النفسية للبنات الثلاث من خلال استباتة تحليلية وقدمنا تجربة لمرشام اجتماعية إكلينيكية تتحدث عن الأطفال المحرومين، وبعدها درسنا الحالة النفسية للمقرئ الكفيف وكيف اختتمت علاقة المقرئ الكفيف بأسطورة أوديب.

وفي الختام أضع بين أيديكم جهدنا المتواضع عسى أن تكون بداية جيدة، لأن يعمل عليها الباحثين الآخرين منها، فتكون بمثابة تفتيح أفكار لبحث جديد يمكن أن يكمل ما قمنا به.

ملحق

الأعمال الكاملة
يوسف إدريس
القصص القصيرة ١
دار الشروق

بيت من لحم

بيتٌ مِن لحم

الخـاتم بجـوار المصبـاح. الصمت يحـل فتعمى الآذان. في الصمت يتسلل الأصبع. يضع الخاتم.

في صمتٍ أيضاً يطفأ المصباح.

والظلام يعم.

في الظلام أيضاً تعمى العيون. الأرملة وبناتها الثلاث. والبيت حجرة. والبداية صمت.

***

الأرملة طويلة بيضاء ممشوقة، في الخامسة والثلاثين.

بناتها أيضاً طويلات فائرات، لا يخلعن الثوب الكـاسي الأسود بحـداد أو بغير حـداد. صغـراهن في السـادسـة عشـرة وكبـراهن في العشـرين.. قبيحات ورثن جسـد الأب الأسمر المليء بـالكتـل غيـر المتناسقة والفجوات، وبالكاد أخذن من الأم العود.

الحجرة، رغم ضيقها تسعهن في النهار. . رغم فقرها الشديد مرتبة أنيقة، يشيع فيها جو البيت وتحفل بلمسات الإناث الأربع. في الليل تتناثر أجسادهن كأكوام من لحم دافىء حي، بعضها فوق الفراش، وبعضها حوله، تتصاعد منها الأنفاس حارة مؤرقة، أحياناً عميقة الشهيق.

الصمت خيم مذ مات الرجل، والرجل مات من عامين بعد مرض طويل. انتهى الحزن وبقيت عادات الحزانى وأبرزها الصمت. . صمت طويل لا يفرغ اذ كان في الحقيقة صمت انتظار، فالبنات كبرن والترقب طال والعرسان لا يجيئون. ومن المجنون الذي يدق باب الفقيرات القبيحات، وبالذات إذا كن يتامى؟. ولكن الأمل بالطبع موجود، فلكل فولة كيال ولكل بنت عدلها. فإذا كان الفقر هناك فهناك دائماً من هو أفقر، وإذا كان القبح هناك فهناك دائماً الأقبح، والأماني تنال. . أحياناً تنال بطول البال.

***

صمت لم يكن يقطعه إلا صوت التلاوة. .يتصاعد في روتين لا جدة فيه ولا انفعال. والتلاوة لمقرىء، والمقرىء كفيف، والقراءة على روح المرحوم وميعادها لا يتغير. . عصر الجمعة يجيء بعصاه ينقر الباب، ولليد الممدودة يستسلم، وعلى الحصير يتربع. وحين ينتهي يتحسس الصندل، ويلقي بتحية لا يحفل أحد بردها، ويمضي. بالتعود يجيء. . بالتعود يقرأ. . بالعادة يمضي، حتى لم يعد يشعر به أو ينتبه اليه أحد. .

دائم هـو الصمت، حتى وتلاوة عصـر الجمعة تقـطعه أصبحت وكأنها قطع الصمت بصمت. دائم هو كالانتظار،كالأمل. . أمل قليـل ولكنه دائم، فهو أمل في الأقل. دائماً هناك لكل قليل أقـل، وهن لا يتطلعن لأي أكثر. . أبداً لا يتطلعن.

يـدوم الصمت حتى يحدث شيء. . يجيء عصـر الجمعـة ولا يجيء المقرىء. فلأي اتفاق مهما طال نهاية وقد انتهى الاتفاق.

وتـدرك الأرملة وبنـاتهـا الآن فقط كنـه مـا تقـدم، ليس فقط الصوت الوحيد الذي كان يقطع الصمت، ولكن أيضاً الرجل الوحيـد الـذي كـان ولـو في الأسبـوع مـرة يـدق البـاب، بـل أشيـاء أخـرى يدركن. . فقير مثلهن هذا صحيح، ولكن ملابسه أبداً كانت نـظيفة، وصندله دائماً مطلى، وعمامته ملفوفة بـدقة يعجـز عنها المبصـرون، وصوته قوي عميق رنان.

والاقتراح يبدأ: لمـاذا لا يجدد الاتفـاق ومنذ الآن؟ ولمـاذا لا يـرسـل في طلبـه هـذه اللحـظة؟. مشغـول، فليكن! الانتـظار ليس بالجديد. وقرب المغرب يأتي، ويقرأ وكأنه أول مرة يقرأ، . والاقتراح ينشأ. . لماذا لا تتزوج احداهن رجلاً يملأ علينا بصوتـه الدار؟. هـو أعزب لم يدخل دنيا، وله شارب أخضر، ولكنه شاب. وبالكلام يجر الكلام، ها هو الآخر يبحث عن بنت الحلال.

البنات يقترحن والأم تنظر في وجوههن لتحدد من تكون صاحبة النصيب والاقتراح. ولكن الوجوه تزور مقترحة ـ فقط مقتـرحة ـ قـائلة

بغيـــر الكـلام: أنصـــوم ونفـــطر على أعمى؟. هن مـــا زلن يحلمن بالعرسان، والعرسان عادة مبصـرون. مسكينات لم يعـرفن بعد عـالم الرجال، ومحال أن يفهمن أن الرجل ليس بعينيه.

ـ تزوجيه أنت يا أماه.. تزوجيه.

ـ أنا؟. يا عيب الشوم!. والناس؟

ـ يقولون مـا يقـولـون.. قـولهم أهـون من بيت خـال من رنين صوت الرجال.

ـ أتزوج قبلكن؟. مستحيل.

ـ أليس الأفضـل أن تتزوجي قبلنـا، ليعرف بيتنـا قـدم الـرجـال فنتزوج بعدك؟ تزوجيه يا أماه.

وتـزوجتـه.. زاد عـــدد الأنفس واحـدة، وزاد الـــرزق قليـلاً، ونشأت مشكلة أكبر.

الليلة الأولى انقضت وهمـــا في فـراشهمـــا، هـذا صحيـح. ولكنهما حتى لم يجسرا على الاقتراب.. ولو صدفة! فالبنات الثلاث نـائمات، ولكن من كـل منهن ينصب زوج من الكشافـات المصـوبـة بدقة إلى المسافة الكائنة بينهما.. كشافـات عيون، وكشـافات آذان، وكشافات احساس. البنات كبيـرات، عارفـات ومدركـات، والحجرة كأنما تحولت بوجودهن الصاحي إلى ضوء نهار. ولكن بالنهار لم تعد ثمة حجة، وواحدة وراء الأخرى تسللن ولم يعدن إلا قرب الغروب،

مترددات خجلات يقدمن رجلاً ويؤخرن رجلاً، حتى يزددن قرباً. وحينذاك يدهشهن.. يربكهن.. يجعلهن يسرعن ضحكات.. قهقهات رجل تتخللها سخسخات امرأة.. أمهن لابد تضحك، والرجل الذي ما سمعنه إلا مؤوباً خاشعاً ها هو يضحك! بالأحضان قابلتهن ولا تزال تضحك، رأسها عار وشعرها مبلل ممشط ولا تزال تضحك، وجهها.. ذلك الذي أدركن للتو أنه كان مجرد فانوس مطفأ عشعش فيه العنكبوت والتجعيدات، فجأةً أنار، ها هو أمامهن كلمبة الكهرباء مضيء. ها هي عيونها تلمع وقد ظهرت وبانت وتلألأت بالدمع الضاحك.. تلك التي كانت مستكنة في قاع المحجر.

الصمت تلاشى واختفى تماماً، على العشاء وقبل العشاء وبعد العشاء نكت تترى وأحاديث وغناء! صوته حلو وهو يغني ويقلد أم كلثوم وعبد الوهاب، صوته عال أجش بالسعادة يلعلع.

خيراً فعلت يا أماه! وغداً تجذب الضحكات الرجال، فالرجال طعم الرجال.

نعم يا بنات، غداً يجيء الرجال ويهل العرسان. ولكن الحق أن ما أصبح يشغلها ليس الرجال أو العرسان ولكنه ذلك الشاب. كفيف فليكن، فما أكثر ما نعمى عن رؤية الناس لمجرد أنهم عميان. هذا الشاب القوي المتدفق قوة وصحة وحياة، ذلك الذي عوضها عن سنين المرض والعجز والكبر بغير أوان.

الصمت تلاشى وكأن إلى غير رجعة، ضجيج الحياة دب.

الزوج زوجها وحلالها وعلى سنة الله ورسوله، فماذا يعيب؟ وكل ما تفعله جائز، حتى وهي لم تعد تحفل بالموارية أو بكتمان الأسرار. حتى والليل يجيء وهم جميعاً معاً، فيطلق العقال للأرواح والأجساد، حتى والبنات مبعثرات متباعدات يفهمن ويدركن وتتهدج منهن الأنفاس والأصوات، مسمرات في مراقدهن يحبسن الحركة والسعال. . تظهر الآهات فجأة فتكتمها الآهات.

كان نهارها «غسيل» في بيوت الأغنياء، ونهاره قراءة في بيوت الفقراء، ولم يكن من عادته أول الأمر أن يؤوب إلى الحجرة ظهراً، ولكن لما الليل عليه طال والسهر أصبح يمتد، بدأ يؤوب ساعة الظهر يريح جسده ساعة من عناء ليل ولى واستعداداً لليل قادم. وذات مرة بعدما شبعا من الليل وشبع الليل منهما، سألها فجأة عما كان بها ساعة الظهر، ولماذا هي منطلقة تتكلم الآن ومعتصمة بالصمت التام ساعتها؟ ولماذا تضع الخاتم العزيز عليه الآن ـ إذ هو كل ما كلفه الزواج من دبلة ومهر وشبكة وهدايا ـ ولماذا لم تكن تضعه ساعتها؟

كان ممكناً أن تنتفض هالعة واقفة صارخة. كان ممكناً أن تجن. كان ممكناً أن يقتله أحد. فليس لما يقوله إلا معنى واحد، ما أغربه وأبشعه من معنى!

ولكن غصة خانقة حبست كل هذا وحبست معه أنفاسها. . سكتت. بآذانها التي حولتها إلى أنوف وحواس وعيون راحت تتسمع وهمها الأول ان تعرف الفاعلة. إنها متأكدة لأمر ما أنها الوسطى. إن

في عينيها جرأة لا يقتلها الرصاص إذا أطلق.. ولكنها تتسمع! الأنفاس الثلاثة تتعالى عميقة حارة كأنها محمومة.. ساخنة بالصبا تجأر، تتردد، تنقطع، أحلام حرام تقطعها.. أنفاس باضطرابها تتحول إلى فحيح.. فحيح كالصهد الذي تنفثه أراض عطشى، والغصة تزداد عمقاً واحتباساً. إنها أنفاس جائعات ما تسمع، بكل شحذها لحواسها لا تستطيع أن تفرق بين كومة لحم حي ساخنة مكتومة وكومة أخرى. كلها جائعة! كلها تصرخ وتئن، وأنينها يتنفس ليس أنفاساً، ربما استغاثات. ربما رجوات.. ربما ما هو أكثر.

غرقت في حلالها الثاني ونسيت حلالها الأول.. بناتها! والصبر أصبح علقماً، وحتى سراب العرسان لم يعد يظهر. فجأة ملسوعة ها هي كمن استيقظ مرعوباً على نداء خفي.. البنات جائعات! الطعام حرام صحيح ولكن الجوع أحرم.. أبداً ليس مثل الجوع حرام! انها تعرفه.. عرفها ويبس روحها ومص عظامها، وتعرفه ـ وشبعت ما شبعت ـ مستحيل أن تنسى مذاقه.

جائعات وهي التي كانت تخرج اللقمة من فمها لتطعمهن.. هي التي كان همها حتى لو جاعت أن تطعمهن، هي الأم، أنسيت؟

وألح مهما ألح تحولت الغصة إلى صمت. الأم صمتت ومن لحظتها لم يغادرها الصمت.

وعلى الإفطار كانت ـ كما قدرت تماماً ـ الوسطى صامتة.

وعلى الدوام ظلت صامتة.

والعشـاء يجيء، والشاب ـ سعيـداً وكفيفاً ومستمتعـاً ـ ينكت لا يـزال، ويغني ويضحك ولا يشـاركه الضحـك إلا الصغرى والكبـرى فقط.

ويطول الصبر ويتحول علقمه إلى مرض، ولا أحد يطل.

وتتـأمـل الكبــرى ذات يـوم خــاتم أمهـا في أصبعهــا وتبـدي الاعجاب به، ويدق قلب الأم وتزداد دقاته وهي تطلب منها أن تضعـه ليوم، لمجرد يوم واحد لا غير. وفي صمت تسحبه من أصبعها. وفي صمت تضعه الكبرى في أصبعها المقابل.

وعلى العشاء التالي تصمت الكبرى وتأبى النطق.

والكفيف الشاب يصخب ويغني ويضحك، والصغرى تشاركه.

ولكن الصغرى تصبح ـ بالصبر والهم وقلة البخت ـ أكبر، وتبدأ تسأل عن دورها في لعبة الخاتم، وفي صمت تنال الدور.

والخاتم بجوار المصبـاح.. الصمت يحل فتعمى الآذان. وفي الصمت يتسلل الأصبع صاحب الدور ويضع الخاتم في صمت أيضاً. ويطفىء المصباح والظلام يعم، وفي الظلام تعمى العيون.

ولا يبقى صاخباً منكتاً مغنياً، إلا الكفيف الشاب.

فوراء صخبه وضجته تكمن رغبة تكاد تجعله يثور على الصمت وينهـال عليه تكسيـراً. إنـه هـو الآخـر يـريـد أن يعـرف.. عن يقين

يعرف. كان أول الأمر يقول لنفسه إنها طبيعة المرأة التي تأبى البقاء على حال واحد، فهي طازجة صابحة كقطر الندى مرة، ومنهكة مستهلكة كماء البرك مرة أخرى. ناعمة كملمس ورق الورد مرة، خشنة كنبات الصبار مرة أخرى. الخاتم دائم وموجود صحيح، ولكن وكأنما الأصبع الذي يطبق عليه كل مرة أصبع. إنه يكاد يعرف، وهن بالتأكيد كلهن يعرفن، فلماذا لا يتكلم الصمت؟ لماذا لا ينطق؟

ولكن السؤال يباغته ذات عشاء، ماذا لو نطق الصمت؟ ماذا لو تكلم؟

مجرد التساؤل أوقف اللقمة في حلقه.

ومن لحظتها لاذ بالصمت تماماً وأبى أن يغادره.

بل هو الذي أصبح خائفاً أن يحدث المكروه مرة ويخدش الصمت. ربما كلمة واحدة تفلت فينهار لها بناء الصمت كله، والويل له لو انهار بناء الصمت.

الصمت المختلف الغريب الذي أصبح يلوذ به الكل.

الصمت الارادي هذه المرة، لا الفقر، لا القبح، لا الصبر ولا اليأس سببه.

إنما هو أعمق أنواع الصمت، فهو الصمت المتفق عليه أقوى أنواع الاتفاق، ذلك الذي يتم بلا أي اتفاق.

الأرملة وبناتها الثلاث.

والبيت حجرة.

والصمت الجديد.

والمقرىء الكفيف الذي جاء معه بذلك الصمت، وبالصمت راح يؤكد لنفسه أن شريكته في الفراش على الدوام هي زوجه وحلاله وزلاله وحاملة خاتمه، تتصابى مرة أو تشيخ، تنعم أو تخشن، ترفع أو تسمن، هذا شأنها وحدها، بل هذا شأن المبصرين ومسئوليتهم وحدهم! هم الذين يملكون نعمة اليقين، إذ هم القادرون على التمييز. وأقصى ما يستطيعه هو أن يشك، شك لا يمكن أن يصبح يقيناً إلا بنعمة البصر، وما دام محروماً منه فسيظل محروماً من اليقين، إذ هو الأعمى، وليس على الأعمى حرج.

أم على الأعمى حرج؟

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم: برواية حَفْصٍ عَنْ عَاصِمٍ الكُوفِيّ.

1- **المصادر**:

1. يوسف إدريس ، (الأعمال الكاملة)، مجموعة القصص القصيرة 1 ، قصة قصيرة ، بيت من لحم ، دار الشروق ، القاهرة ، د ت، الطبعة الأولى 1990.

2- **المراجع** :

1.إبراهيم الفقي، قوة التفكير، شركات الدكتور إبراهيم الفقي العالمية للتنمية البشرية، د ت.

2.إحسان محمد حسن، مناهج البحث الاجتماعي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2005.

3.أحمد حمروش، قصة ثورة 23 يوليو، خريف عبد الناصر، القاهرة، د ت ط2 1984م، ج 5.

4.أحمد شوقي، الأعمال الشعرية الكاملة الشوقيات، دار العودة، بيروت 1988 الطبعة الأولى، د ت، الجزء الأول .

5.أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، دار المعارف بمصر، ط11، 1999.

6.أحمد محمد مبارك الكندري، علم النفس الأسري، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع الكويت، الطبعة الثانية، 1412 هـ – 1992م.

7.أنتوني غدير، علم الاجتماع ،(مع مداخلات عربية)، ترجمة الدكتور فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة مؤسسة ترجمان، بيروت، د ت، الطبعة الرابعة، د ت.

8.بول أرون وآلان فيالا، سوسيولوجية الأدب، تر: محمد علي مقلد مراجعة د.حسن الطالب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2013.

9. بول آساموبلسون ، الاقتصاد، ترجمة هشام عبد الله ، الـــدار الأهليـــة، الأردن 2001.

10. بيير داكو، انتصارات التحليل النفسي، تر: وحيد أســـعد، الشـــركة المتحـــدة للتوزيع، ط2، 1986.

11. جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، تر: د. محمد لبيب النجيحي سنة 1963، فرانكلين للطباعة والنشر.

12. جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، تر: محمد لبيب النجيحـــي، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ط3، 1975.

13. چان بيلمان- نويل، التحليل النفسي والأدب، تر:حســـن المـــودن، المجلـــس الأعلى للثقافة، 1997.

14. سعد علي فركوس ، تربية الأولاد و أسس تأهيلهم و دار العواصـــم للنشـــر والتوزيع ، الجزائر ، د ت ، ط 2، 1438هـــــ، 2017.

15. سليم حداد، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، د ت، 1986.

16. سيد يسين، التحليل الاجتماعي للأدب ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1992.

17. صالح عبد الكريم ،فن تربية الأبناء ، كيف نربي أبناءنا تربية نفسية ســـليمة الدار العربية للإعلام، د ت ،د ط،.

18. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار ميريث للنشر، القاهرة، 2002.

19. عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، سلسلة دراسة في المجتمع العربـــي السعودي، د ت ، ط 2، 1990.

20. عبد المنعم زكرياء القاضي، البنية السردية في الرواية ، حوار خـــاص مـــع الروائي خيري شلبي.

21. عز الدين اسماعيل، التمييز النفسي للأدب، دار المكتبة غريب، ط4، د ت.

22. فهمي النجار، الحرب النفسية (أضواء إسلامية)، دار الفضيلة، الرياض السعودية ، د ت .

23. فيصل عباس ، التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية، دار الفكر العربي ط1، 1997.

24. قريوتي يوسف وآخرين، المدخل إلى التربية الخاصة، دار القلم دبي 2008.

25. كامل محمد عويضة، علم النفس بين الشخصية و الفكر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان وسلسلة علم النفس، الطبعة الأولى 1416هـ - 1996.

26. كامل محمد عويضة، علم النفس بين الشخصية والفكر، دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 1996.

27. كوليت استيه ، أسطورة أوديب، تر ، زياد العودة ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة دمشق 2012 ، الطبعة الثانية 2012.

28. ماركس ملتون، المسرحية كيف تدرسها و تتذوقها، تر: فريد مدور، بيروت دار الكتاب العربي، 1965.

29. محمد رشيد ثابت، البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام، لمحمد المويلحي، الدار العربية للكتاب، 1982.

30. محمد طمار الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1983.

31. محمد ناصر الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف الرياض د ت ، ط 3 – 1409هـ - 1988 م ، ج2 .

32. محي الدين أبو شقرا: مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005،.

33. مصطفى سويف، مطالعات في علم النفس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1962، د ط .

34. مصطفى سويف، مطالعات في علم النفس، مكتبة الانجلومصرية الإسكندرية، 1962.

35. نانسي كريس، تقنيات كتابة الرواية ، تر:زينة جابر إدريس ،الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى 1430هـ-2009م.

36. نهاد خياطة، علم النفس التحليلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط2، سوريا 1997.

37. هايم جينو ،أليس جينو ووالس غودارد ، التربية المثالية للأبناء ، ترمركز التعريب والترجمة والدار العربية للإعلام ، د ت ،د ط .

38. هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيوثقافية مكتبة فلسطين للكتب المصورة ، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة 2015.

3- **المجلات والدوريات**:

1.أحمد هاشم جواد، رئاسة جامعة بابل، تنظيم الضباط الأحرار في مصر وحركة يوليو 1952م، مجلة جامعة بابل العلوم الإنسانية، المجلد 18، العدد2، 2010.

2.ايان كريب، النظرة الاجتماعية: من بارسونز إلى هيبرماس، تر: محمد حسين غليون، مجلة عالم المعرفة، ع242.

3.حسن مجيدي، إبداع يوسف إدريس في القصة القصيرة، تحليل ونقد، مجلة فصلية، دراسات الأدب المعاصر، س3، ع9،.

4.شوقي عبد الأمير، أوديب سوفوكليس ، تر ، طه حسين ، منظمة اليونسكو عام 1996 ' عدد 143 – الأربعاء 7 تموز (يوليو)2010.

5.طالب عبد الكريم كاظم القرشي ،الظاهرة الاجتماعية عند إميل دوركايم (تحليل اجتماعي)، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، العدد السادس، السنة الثالثة، 2012.

6.مجلة عالم الفكر، المجلد السادس والعشرين، ع2، أكتوبر، الكويت، 1997.

7.مجلة كيف أثر عبر الناصر في مشوار أم كلثوم و عبد الوهاب،http://www.masrawy.com

3- الرسائل الجامعية

1.رهان الإسلام الأغا و التنبؤ بالسلوك الاجتماعي للنساء الأرامل في بعض التغيرات النفسية ، الجامعة الإسلامية، بغزة ، كلية التربية، قسم علم النفس الإرشاد النفسي، 1432 هـ - 2011م.

4- المواقع الالكترونية

1. مجلة كيف أثر عبر الناصر في مشوار أم كلثوم و عبد الوهاب،http://www.masrawy.com

2. عبد الرحيم علي، ثورة يوليو في ميزان الأدباء ،الجمعة 22يوليه 2016، 421 م،البوابة نيوز ، ثورة يوليو www.albawabh nuews.com

3. مصطفى لغتيري، الإبداع القصصي عند يوسف إدريس2008/8/26، www.malewar.org

4. شوقي عبد الأمير ، أوديب سوفوكليس ، تر ، طه حسين ، منظمة اليونسكو عام 1996، عدد 143 – الأربعاء 7 تموز (يوليو)2010.

5. عبد الرحيم علي، ثورة يوليو في ميزان الأدباء ،الجمعة 22يوليه 2016، 421 م،البوابة نيوز ، ثورة يوليو www.albawabh nuews.com .

6. مصطفى لغتيري، الإبداع القصصي عند يوسف إذريس، 2008/8/26، www.malewar.org.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تشكرات	
مقدمة	أ
الفصل الأول:دراسة الاتجاهات الثلاثة (اجتماعي، نفسي، سيكولوجي)	
أولا: حياة يوسف إدريس	6
ثانيا:الاتجاه الاجتماعي	12
ثالثا: الاتجاه النفسي	15
رابعا: الاتجاه السيكولوجي	25
الفصل الثاني : تحليل قصة بيت من لحم	
أولا : دراسة الشخصيات	38
5.سيرة موجزة للشخصية الرئيسية	38
6.الشخصية الرئيسية	38
7.سيرة موجزة للشخصيات: البنات الثلاث	40
8.سيرة موجزة لشخصية المقرئ الكفيف	44
ثانيا : ملخص ثورة الضباط الأحرار وربطه بالقصة	44
ثالثا : القراءة السيميائية لقصة بيت من لحم	49
رابعا : الجوانب المختلفة للقصة القصيرة << بيت من لحم >>	54
6.الجانب الاجتماعي	54
7.الجانب الأخلاقي (تدهور القيم الدينية و الأخلاقية)	57
8.الجانب السياسي	63
9.الجانب الاقتصادي	64
10. الجانب النفسي	65
خامسا : العلاقة بين أسطورة أوديب و القصة القصيرة بيت من لحم	87
3.ملخص أسطورة أوديب سوفوكليس	87

4.توظيف أسطورة أوديب في القصة القصيرة << بيت من لحم >>	89
خاتمة	91
ملحق	94
قائمة المصادر والمراجع	107
فهرس الموضوعات	114

تم بحمد الله

ملخص :

كان موضوع هذه الدراسة يدور حول القصة القصيرة العربية بيت من لحم للكاتب يوسف إدريس الذي كان مبدعا ومصيبا في إختيار هذا الموضوع الخصب . وعالجنا القصة القصيرة بفصلين:

الأول: منها خاص بالجانب النظـــري وركزنـــا علـــى الجانـــب النفســـي والاجتماعي والسيكولوجي .

والثاني: منها كان تحليل للقصة سيميائيا وأحيانا تاريخيا .

الكلمات المفتاحية:

القصة القصيرة، السرد، الفقـــر،الانحلال الأخلاقي،الطبقـــة الســـفلى مـــن المجتمع،عقدة أوديب.

Abstract:

The subject of this study was about the short story Arabic House of Meat writer Yusuf Idris, who was creative and good in the selection of this fertile topic.

We dealt with the short story with two chapters:

The first one: is from the theoretical side and we focused on the psychological, social and psychological aspects

The second: was the analysis of the story, both semiautically and sometimes historically.

Keywords:

Short story Narration, poverty, moral decay, lower class of society, Oedipus complex.